الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية الأدب العربي و الفنون

مذكرة نيل شهادة ماستر في الأدب العربي

تخصص: لسانيات تطبيقية

"الحِجَاج بين النظرية والتطبيق: نماذج من الحِجَاج القرآني"

إعداد الطالبة:

قشار روميسة

إشراف:

د. بن سكران حفيظة

لجنة المناقشة:

الرتبة/الاسم واللقب:	اسم الجامعة:	الصفة:
دة/ سلس حفيظة	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	رئيساً
دة/ بن سكران حفيظة	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	مشرفا ومقررا
د/ معمر عبد الله	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	مناقشاً

السنة الجامعية: 2025/2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مقدمة

يُعدّ الحِجَاج من الظواهر اللغوية والخطابية التي حظيت باهتمام واسع في الدراسات اللسانية والتداولية الحديثة، نظرًا لكونه وسيلة عقلية ومنطقية فعّالة في التأثير والإقناع، وجزءًا جوهريًا من بنية الخطاب البشري، سواء في الحياة اليومية أو في مجالات الخطاب الديني والسياسي والعلمي. وقد تنوّعت المقاربات اللسانية في تناوله من حيث المفهوم والوظيفة والآليات، مما يدل على طابعه التعددي وثرائه المفاهيمي.

ويُعَدّ القرآن الكريم من أبرز النصوص التي تجسّد فن الحِجَاج بأسلوب راقٍ وعميق، يجمع بين العقل والوجدان، ويوظّف أدوات لغوية وبلاغية ومنطقية لإقناع المتلقي، سواء أكان مؤمنًا أو معارضًا أو مترددًا. من هذا المنطلق، جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ: **"الحِجَاج بين النظرية والتطبيق: نماذج من الحِجَاج القرآني"**، محاولةً سبر أغوار هذا المفهوم في بُعديه النظري والتطبيقي، من خلال مقاربة تحليلية تستند إلى المنهج الوصفي التحليلي.

وتتمثل **الإشكالية الرئيسة** لهذه الدراسة في التساؤل الآتي: **كيف تجلّى الحِجَاج في القرآن الكريم بين التصور النظري والتحليل التطبيقي؟ وما مدى توظيفه لآليات لغوية وبلاغية ومنطقية تُسهم في تحقيق مقصد الإقناع والتوجيه؟** ومن هذه الإشكالية تتفرع عدة تساؤلات فرعية، من أبرزها:

- **ما المقصود بالحِجَاج في اللغة والاصطلاح؟**
- **ما خصائص الكلمة الحِجَاجية في القرآن الكريم؟**
- **ما هي أنماط الحِجَاج فيه؟**
- **كيف تتجلى صور الحِجَاج اللغوي، البلاغي والمنطقي في النص القرآني؟**
- **وما الأبعاد التداولية والدلالية التي تُحققها الصورة في الخطاب الحِجَاجي القرآني؟**

وقد جاء اختيار هذا الموضوع بدافع ذاتي ينبع من رغبتي في استكشاف طبيعة النص القرآني من زاوية تحليلية جديدة، تُمكّن من فهمه فهمًا أعمق من خلال مقاربة حِجَاجية وبرهانية حديثة. كما أن هناك دافعًا موضوعيًا يتمثل في قِلّة الدراسات التطبيقية التي تناولت الحِجَاج في القرآن ضمن إطار تداولي ولساني حديث، فضلًا عن الحاجة الأكاديمية إلى إبراز قدرة النص القرآني على الإقناع باستعمال أدوات لغوية ومنطقية فعالة.

وتتجلى **أهمية** هذه الدراسة في عدة مستويات؛ فهي تُسهم من الناحية النظرية في إثراء البحوث اللسانية الحديثة من خلال تسليط الضوء على مفهوم الحِجَاج وآلياته ووظائفه، كما تكشف من الناحية التطبيقية عن البنية الحِجَاجية في الخطاب القرآني، بما يُبرز إعجازه العقلي والبياني. أما من الناحية التربوية، فتكمن أهمية الدراسة في إمكانية توظيف نتائجها في ميدان التعليم، خاصة في تدريس النصوص وتحليل الخطاب، لما لها من دور في تطوير التفكير النقدي وتعزيز الفهم العميق للنصوص.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على **المنهج الوصفي التحليلي**؛ إذ تمّ في الفصل النظري توصيف المفاهيم والنظريات المتعلقة بالحِجَاج، بينما تناول الفصل التطبيقي تحليل نماذج قرآنية متنوعة تُجسّد هذه الظاهرة في مختلف تجلياتها.

وقد قُسّمت الدراسة إلى **فصلين رئيسين**:

الفصل الأول: دلالة الحِجَاج في القرآن الكريم، ويتضمن ثلاثة مباحث:

- **مفهوم الحِجَاج لغة واصطلاحًا.**
- **خصائص الكلمة الحِجَاجية في القرآن الكريم.**
- **أنواع الحِجَاج في القرآن الكريم.**

الفصل الثاني: الصورة في القرآن الكريم وأبعادها الحِجَاجية، ويشمل بدوره ثلاثة مباحث:

- **صور من الحِجَاج اللغوي في القرآن الكريم.**
- **صور من الحِجَاج البلاغي.**
- **صور من الحِجَاج المنطقي.**

ورغم ما بُذل من جهد، فقد واجهت هذه الدراسة عدّة **صعوبات**، أبرزها: قلة الدراسات التي تجمع بين النظرية اللسانية الحديثة والتطبيق الحِجَاجي في النص القرآني، وصعوبة انتقاء نماذج قرآنية متنوعة تمثّل الظاهرة في شتى صورها، إضافة إلى تحديات توظيف المناهج الحديثة في تحليل نص ديني مقدس يتّسم بخصوصية أسلوبه وسياقاته.

وقد استفدنا في هذا البحث من مجموعة من الدراسات السابقة، منها:

- **"الحِجَاج في القرآن الكريم: دراسة تداولية"، التي تناولت الأبعاد اللغوية والبلاغية للحِجَاج.**
- **"الخطاب الحِجَاجي في النص الديني"، الذي ركز على البعد التأثيري في الدعوة القرآنية.**
- **"الأسلوب الحِجَاجي في القرآن الكريم"، التي أبرزت أساليب الحوار والإقناع في الخطاب الإلهي.**

وفي الختام، لا يسعني إلا أن أتقدّم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى **الأستاذة الفاضلة الدكتورة بن سكران حفيظة**، على ما قدّمته من توجيهات علمية وملاحظات بنّاءة، كان لها الأثر الكبير في إنجاز هذا العمل العلمي المتواضع.

الفصل الأول

دلالة الحجاج في القرآن الكريم

أولا: مفهوم الحجاج

ثانيا: خصائص الكلمة الحجاجية في القرآن الكريم

ثالثا: أنواع الحجاج

رابعا: آليات الحجاج في القرآن الكريم

الفصل الأول: دلالة الحجاج في القرآن الكريم

أولا– تعريف الحجاج:

1– الحِجاج لغةً:

يُعرّفه **ابن منظور في لسان العرب**: حاججته، أحاجه، حجاجًا ومحاجَّةً حتّى حججته أي غلبته بالحُجج التي أدليتُ بها... وحاجَّه محاجَّةً نازعه بالحجة: الدَّليلُ والبُرهان" [1].

وعرفه **الشريف الجرجاني** (ق**816**هـ) في كتابه **التعريفات**: **الحجة**: ما دل به على صحة الدعوة وقيل الحجة والدليل واحد، والجدل هو القياس من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان والجدل دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجته أو شبهه وهو الخصومة فالحقيقة، والجدال عبارة عن مراد يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها."[2]

"فالحجاج من حجج : الحَجُّ : القصد، أو رجل محجوج، أي مقصود ، وقد حَجَّ بنو فلان فلانا ، إذا أطالوا الاختلاف إليه ... والمحجاج المسار والحَجَاجُ والحِجَاجُ بفتح الحاء وكسرها ؛ العظم الذي ينبت عليه الحاجب ، والجمع أحجة..."[3]

جاء في معجم نور الدين الوسيط: " حاجَّ : مادة . (ح ج ج) :

1– الحاجّ – جمعه : حُجَّاج من حج البيت الحرام .

2– الحاجُّ : من قصة الديار المقدسة للحجّ."[4]

---

[1] –ابن منظور: لسان العرب، ط2، دار صادر، بيروت (لبنان) ، مادَّة (ح ج ج)، ص:226

[2]– الجرجاني علي محمد سيد :معجم التعريفات، تر: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، د.ت، ص:67-73

[3]– إسماعيل بن حماد الجوهري: معجم الصحاح. عربي –عربي ، دار المعرفة، لبنان، ط3، 2008، ص: 211-212.

[4]– نور الدين : معجم الوسيط – عربي– عربي ، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2005، ص: 524.

كذلك نجد **ابن عاشور** فيُشير في تفسير **"التّحرير والتّنوير"** إلى التفريق بين الجَدَل والحِجاج ، مُعتمدًا في ذلك ما جاء منهما في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: **[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ] [سورة البقرة، الآية: 258]**، فيرجع إلى أنَّ معنى حاجَّ: خاصمَ، وأنَّه في الأغلب يُفيد الخصام بباطِل، وأنَّ الجدل يفترق عنه في أنَّ المجادَلة: المخاصمةُ بالقول وإيراد الحجَّة عليه، فتكون في الخير، كقوله تعالى: **[يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ] [سورة هود، الآية: 74]**، وتكون في الشرّ كقوله: **[وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ] [سورة البقرة، الآية: 197]**، ومن ثمَّ فإن الحِجاج أوسع، وكلُّ جَدَل حِجاجٌ وليس كلُّ حِجاجٍ جدلًا، ومع ذلك تبقى المُطابقة بينهما عند القُدماء أظهر، وهو ما يلاحظ حتّى عند بعض المُحدثين[1]

نستنتج بأن معظم المعاجم أجمعت على مفهوم لغوي مشترك للحجاج وهو القصد والبرهان والإقناع.

2- الحِجاج اصطلاحًا:

شهد مفهوم الحِجاج اختلافات بين العصور، وقد تطور بشكل ملحوظ، وفيما يلي، سنستعرض أبرز مفاهيمه:

الحجاج عند أرسطو "قاسم مشترك بين الخطابة والجدل، فالخطابة (***Rhétorique***) فنّ الإقناع عن طريق الخطاب، يكون الاهتمام فيها بما يجعل الخطاب مقنعًا، أما الجدل فعلم الاستدلال المنطقي، باعتباره يستدلّ بطريقة صارمة، محترمًا بدقَّة قواعد المنطق"[2]،"وأمّا الحجاج في الجدل فهو وسيلة تفاعل، ذات نتيجة استدلاليَّة برهانيَّة قويَّة ولا بُدَّ من منهج متكامل... يعتمد النّطق بصفة كبيرة"

[1]- يُنظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيَّة، ط2، دار الفارابي (لبنان)، 2007، ص:11، 15، 21.

[2] -*Oliver reboul, introduction à la rhétorique, 2ème édition, Presses universitaires de France C, (France), 1994, p04.*

لأجل التّأثير العقلي في المُتلقّي، ومن هنا فالحِجاج عند أرسطو قاسمٌ مُشتركٌ بين الخطابة والجدَل، لتتسم تبعًا لذلك البلاغة بالخداع والمغالطة، وهو ما جعلها محلّ ابتعاد ونفور عند الغربيّين"[1]

وعليه يجسد الحجاج عند أرسطو تفاعلًا بين الإقناع العاطفي والمنطق الصارم، حيث يُستعمل في الخطابة لجذب المتلقي وتوجيهه عاطفيًا، بينما في الجدل يكون الهدف الوصول إلى نتيجة عقلية قوية من خلال استدلال منطقي دقيق، فهذا التداخل بين الإقناع العاطفي والعقلاني جعل البلاغة تُعد في بعض الأحيان أداة للخداع والمغالطة، وهو ما أثار تحفظات عند بعض المفكرين الغربيين الذين نظروا إليها بحذر.

يعرفه طه عبد الرحمان بأنه "الحجاج هو منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها.... فالحجاج هو أساس الخطابة قديمها وحديثها، لارتباطه بالإقناع والإلقاء والتأثير."[2]

ومنه حسب تعريف طه عبد الرحمن، الحجاج هو خطاب موجه للآخرين بهدف إفهامهم دعوى محددة، مع إعطائهم الحق في الاعتراض عليها. ويعد الحجاج أساسًا في فن الخطابة، سواء كانت قديمة أو حديثة، لأنه مرتبط بشكل مباشر بعملية الإقناع والتأثير على المتلقي.

يعرفه بيير أوليرون *pierre Oléron* "الحجاج إجراء بواسطته يحاول شخص أو جماعة حمل مستمع على تبني موقف من خلال اللجوء إلى عروض أو إثباتات حجج تهدف إلى إظهار صحته أو صوابه."[3]

يقتصر الحجاج حسبه على إثباتات تظهر صحته أو صوابه بواسطة شخص أو جماعة.

---

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطّلبة، الحِجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة (لبنان)، 2008، ص45.

[2]- مسعود طارق: الحجاج في الخطاب الإعلامي السمعي الخطاب السياسي أنموذجا، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2022، ص:06-07.

[3]- زكرياء السرتي : الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014، ص:21.

"فالحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج."[1]

وعليه يتمثل الحجاج في تقديم حجج وأدلة تؤدي إلى نتيجة محددة، من خلال تسلسل منطقي للأقوال داخل الخطاب، ويشمل ذلك تقديم حجج لغوية تتبعها نتائج، مما يعني أن الحجاج يعتمد على بناء منطقي متسلسل لإقناع المتلقي بالنتيجة المطلوبة.

ويمكن القول كذلك أن "الحجاج عبارة عن علاقة تخاطبية بين المتكلم والمستمع حول قضية ما."[2]

يعرفه عباس حشاني أنه " وسيلة المتكلم في جعل المتلقي يتقبل أرائه واتجاهاته وانتقاداته وتوجيهاته."[3]

يعرفه **حمادي صمود** بأنه عبارة عن " علاقة بين طرفين أو عدة أطراف تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله، أو يثبت لديه اعتقادا أو يميله عنه أو يصنعه له صنعا"[4]

نستنتج من خلال تعريف حمادي صمود أن الحجاج عبارة عن تأثير وتأثر بين الطرفين.

---

[1]- حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، ج1، ط1، 2010، ص: 57.

[2]- رحمة توفيق: الحجاج اللغوي في الخطاب الإعلامي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2020، ص:13.

[3]- عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014، ص: 62.

[4]- حمادي صمود: من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 1999، ص:67.

ثانيا: خصائص الكلمة الحجاجية في القرآن الكريم:

1. الخصائص الاقتضائية:

"حدّ أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) الاقتضاء بقوله : هو الذي لا يدل عليه اللفظ، ولا يكون منطوقا به، ولكن يكون من ضرورة اللفظ إما من حيث كون المتكلم صادقا إلا به، أو من حيث وجود الملفوظ شرعا إلا به أو من حيث يمتنع ثبوته عقلا إلا به."[1]

يعرف الجرجاني : المقتضي هو عبارة عن حجل المنطوق منطوقا لتصحيح المنطوق"[2]

يتضح مفهوم الاقتضاء كما شرحه **الغزالي والجرجاني** أنه ما يُفهم ضمنًا من اللفظ لتوضيح أو تصحيح المعنى.

يظهر المقتضى أكثر ما يكون في التفاعل بين الأطراف المشاركة في المحادثة وتشمل مقتضى الوجودي، المقتضى التداولي أو البراغماتي، والمقتضى المعجمي...[3]

ومن المسائل المتعلقة بالمقتضى المعجمي يمكن إحصاءها في :

- إن المقتضى المعجمي مأتاه معنى الكلمة المعجمي وهو المعجمي وهو ما يقتضي منا عند البحث في المقتضى الكلمة القرآنية.
- إن المقتضى المعجمي للكلمة يشكل محتواه، فينا نرى ملفوظا ضمنيا يقبع تحت المحتوى الملفوظ المنطوق.
- يسم الملفوظ الذي يحمله بميسم دلالي وحجاجي خاص.
- تقسيم معجم اللغة إلى جدول له مقتضى وجدول له التثبيت والبرهنة.

---

[1]- عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، دار الفارابي ، لبنان ، ط1، 2001، ص: 87.

[2]- المرجع نفسه، ص: 87.

[3]- ينظر: عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، المرجع نفسه، ص: 88.

- الاكتفاء بدرس أكثره تواتر في جمع كلمات القرآن بحثا في مقتضى المعجمية فتمثل به دور الخصيصة الاقتضائية في صنع بعد الكلمة الحجاجي في القرآن. [1]

2. خصائص الكلمة التقويمية وأبعادها الحجاجية :

"يقسم العلماء اللسان الخطاب إلى نوعين : خطاب موضوعي وخطاب ذاتي،... ويقسمون الكلمات التي يتكون منها الخطاب قسمين؛ قسما موضوعيا وهو قسم الكلمة التي تكتفي من الناحية الدلالية بتعين مرجعها والإحالة عليه دون أن تلتبس بأي شحنة ذاتية... والقسم الذاتي هو قسم الكلمات التي هي إلى جانب تعيينها الشيء المتحدث عنه، ملتبسة بشحنة ذاتية عالقة بها في أصل الوضع."[2]

وهذه الصفات قلنا تحمل صفات موضوعية وذاتية وتنقسم إلى قسمين: عاطفية وتقويمية.[3]

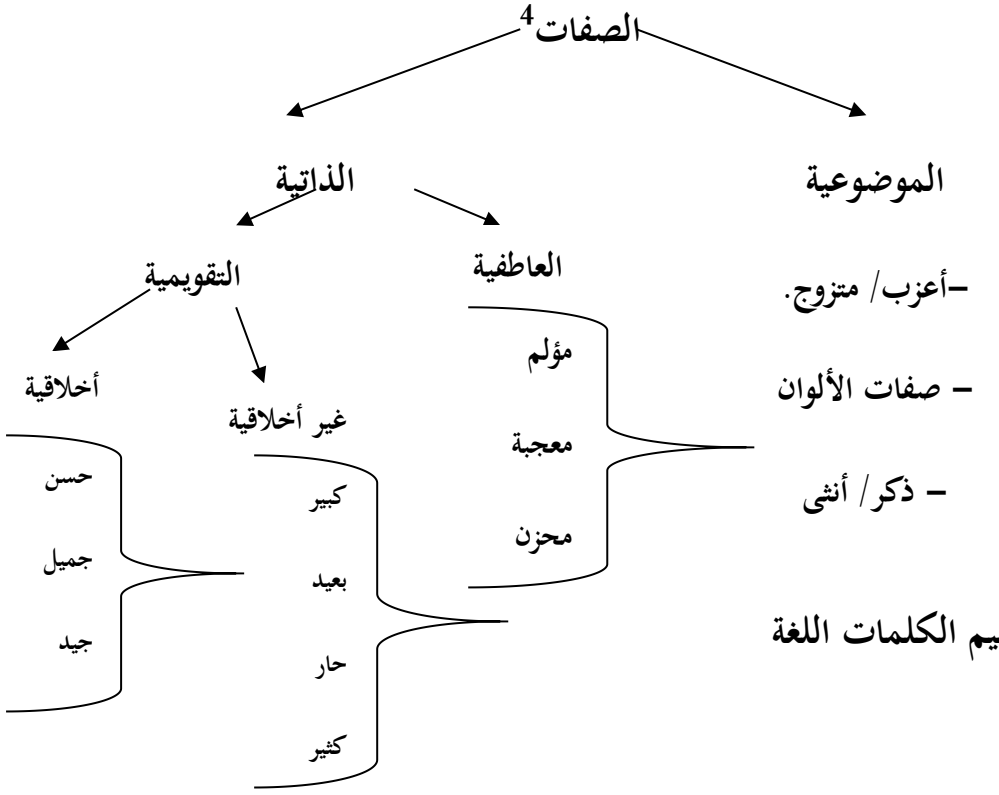

الشكل 1:تقسيم الكلمات اللغة وصفاتها.

---

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص: 89-90-91.

[2]- عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، المرجع السابق، ص: 129.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 129-130.

[4]- المرجع نفسه، ص: 131.

ومنه ينقسم الخطاب إلى موضوعي (محايد) وذاتي (يحمل شحنة عاطفية أو تقويمية)، والكلمات التقويمية التي تندرج تحت الخطاب الذاتي، لا تقتصر على تحديد المعنى بل تعكس أيضًا تقييمات أو أحكامًا حول الموضوع، مما يضيف بعدًا حجاجيًا.

3. خصائص الكلمة التداولية وأبعادها الحجاجية:

يعتبر القرآن الكريم نصًا لغويًا معجزًا، لا يقتصر على كونه نصًا دينيًا، بل يُعدّ أيضًا وثيقة لغوية غنية تعكس تطور العربية وتفاعلها مع اللغات والثقافات الأخرى. من هذا المنطلق، يتناول هذا المقال البعد التداولي والاجتماعي للكلمات القرآنية، وكيفية تأثيرها على بيئتها اللغوية والثقافية، إضافةً إلى ظاهرة الدخيل في النص القرآني.

أ: الكلمات الدخيلة في القرآن وتأثيرها اللغوي:

يُظهر القرآن الكريم تفاعل العربية مع اللغات الأخرى، ومنها الفارسية، حيث استخدم بعض الكلمات ذات الأصل الفارسي التي كانت متداولة في ألسنة العرب قبل نزول الوحي. وهذا يعكس طبيعة اللغة ككائن حي يتأثر بمحيطه، فيأخذ مفردات جديدة ويوظفها وفقًا لسياقات معينة. ومن هذه الكلمات: السِّجِّيل، الأباريق، الإستبرق، والزنجبيل. هذه الألفاظ لم تأتِ اعتباطًا، بل جاءت لتعبر عن مفاهيم تتناسب مع الرسالة القرآنية، فتم استيعابها في المعجم العربي القرآني مع دلالات تداولية محددة.[1]

[1]- ينظر: عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، المرجع السابق، ص: 155إلى 161.

ب: التداولية في المفردات القرآنية:

لم تقتصر الكلمات في القرآن على معانيها المعجمية، بل حملت أبعادًا تداولية مرتبطة بالسياق الذي وردت فيه. على سبيل المثال، قد تُستخدم كلمة ما في سياق معين لتعكس موقفًا اجتماعيًا أو تأثيرًا خطابيًا معينًا، ما يجعل المعنى النهائي للكلمة يتحدد بناءً على بيئتها التداولية. وهذا يتفق مع نظرية التداولية التي تركز على دراسة المعنى في سياق الاستعمال، وليس فقط من خلال المعنى القاموسي للكلمات.[1]

ج: التأثير الاجتماعي للكلمات القرآنية:

يؤكد القرآن على أهمية المفردات التي تحمل دلالات اجتماعية، مثل الكلمات التي تعكس مفاهيم السلطة، والعدالة، والعلاقات الإنسانية. فالكلمة في القرآن ليست مجرد وحدة لغوية، بل هي جزء من منظومة خطابية تهدف إلى التأثير على المتلقي وتوجيه سلوكه.

د: القرآن كمرجع لغوي ومعياري:

لم يكن القرآن الكريم مجرد نص يصف الواقع اللغوي للعرب في زمن نزوله، بل ساهم في تشكيله وإعادة توجيهه. فقد رسّخ معاني معينة لبعض الكلمات، وأعطاها بعدًا أعمق مما كانت عليه في اللغة العربية قبل نزوله، ما جعله مرجعًا أساسيًا للتفسير اللغوي والتداولي.[2]

ومنه يناقش البُعد التداولي للكلمات القرآنية، حيث لا تقتصر معانيها على القاموس اللغوي بل تتحدد بناءً على سياق الاستعمال. ويشير أيضا إلى التأثير الاجتماعي للكلمات التي تحمل دلالات حول العدالة، السلطة، والعلاقات الإنسانية، مما يجعل القرآن مصدرًا لتوجيه سلوك المتلقين. فيعد

---

[1]- ينظر: عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، المرجع السابق، ص: 162إلى 165.

[2]- ينظر: عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، المرجع السابق، ص: 166إلى 167.

القرآن مرجعًا لغويًا ومعياريًا أساسيًا، حيث بادر في تشكيل معاني الكلمات وأعطاها دلالات أعمق مما كانت عليه في اللغة العربية قبل نزوله.

ثالثا: أنواع الحجاج:

يمكن تصنيف الحجاج إلى ثلاثة أنواع، حيث تعتبر هذه الأنواع الأكثر تناولاً في الدراسات والتحليلات.

1. الحجاج التجريدي:

"ويقصد به الإتيان بالدليل على دعوى عن طريق أهل البرهان علما أن البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر على مضامينها واستعمالاتها ، مبينا أن الحجة المجردة ليست إلا مظهرا فقيرا من مظاهر الاستدلال في الخطاب الطبيعي وتنبني أصلا على اعتبار الصورة وإلغاء المضمون والمقام."[1]

فالحجاج التجريدي هو الإتيان بالحجّة مبنية على اعتبار الصورة والشكل فإنّ هذا النوع من الحجاج هو توجيه هذه الحجة وإحداث نوع من التواصل.

خلاصة القول:

الحجاج التجريدي يركز على الشكل والصورة في تقديم الحجة دون الاهتمام بالمضمون أو السياق.

الحجاج التوجيهي يعتمد على كيفية إيصال الحجة من المرسل إلى المتلقي، مع تجاهل رد فعل المتلقي أو حججه.

---

[1]- الضاوية مخلوفي: آليات الحجاج في كتاب وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي الجزء الأول أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص لسانيات النص، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2017، ص: 20-21.

2. الحجاج التوجيهي:

ويقصد به إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل علما أنّ التوجيه هو فعل إيصال المستدل حجته إلى غيره، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاؤه لها، ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها وردّ فعله عليها ، فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة، غير أن قصر اهتمامه على هذه القصور والأفعال الذاتية يفضي به إلى تناسي الجانب العلائقي من الاستدلال هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض."[1]

وعليه يركز الحجاج التوجيهي على كيفية إيصال الحجة من المستدل دون اهتمام كافٍ برد فعل المتلقي أو حقه في الاعتراض، مما يقلل من فعالية الاستدلال.

3.الحجاج التقويمي:

"ويقصد به إثبات دعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، والعملية التي تكتنف هذا الصنف من الحجاج هي ما يسميه **ايميرن وجرو تندور ست** بالحوار الضمني وغرضه هو درء الشك المتوقع من المرسل إليه."[2]

يعتمد الحجاج التقويمي على قدرة المستدل على تصور نفسه كمعترض على دعواه، **مما** يتيح له تقديم حجج مضادة متوقعة. وتسمى هذه العملية **بالحوار الضمني**، وهو أسلوب يهدف إلى تجنب الشكوك التي قد يثيرها المتلقي تجاه الدعوى المطروحة.

---

[1]– طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1998، ص: 228.

[2]- الضاوية مخلوفي: آليات الحجاج في كتاب وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي الجزء الأول أنموذجا، المرجع السابق، ص: 21.

رابعا: آليات الحجاج في القرآن الكريم:

1. الروابط الحجاجية:

الروابط الحجاجية هي وحدات صرفية (مورفيمات) تتصل بلفظين أو عدة ملفوظات يجرى سوقها في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة، وتعتبر العناصر النحوية والظروف بحيث يقوم بالربط بين فعلين اثنين.[1]

فالروابط الحجاجية كثيرة تذكر منها :

الواو : يعد من أهم الروابط الحجاجية ، يعمل على تقوية الحجج مع بعضها البعض ليحقق النتيجة المرجوة فهي تدعم الحجج المتساندة.

حتى: وهو من الروابط المتساندة حجاجيا والمدرجة للحجج القوية، المربوطة بواسطة هذا الأخير لا بد لها أن تنتمي إلى حجج واحدة ونتيجة واحدة، يعني الحجة الثانية تكون هي الأقوى – لهذا لا يقبل هذا الرابط التعارض الحجاجي.[2]

لكن: أداة تعارض الحجاجي تفيد الاستدراك، حيث أنها تنسب حكما لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها...ولا تقع إلى بين متنافرين ومتغايرين بوجه ما.[3]

2. العوامل الحجاجية:

---

[1]– ينظر : رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية عند أنسكو مبرو ديكرو، مجلة علم الفكر، الكويت، مجلد 34، العدد1، 2005، ص: 234-235.

[2]– ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، ط1، 2010، ص: 73.

[3]– ينظر: المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1992، ص: 616.

هي وحدات صرفية حيث تقوم بالربط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي نفسه، وهو الأساس موصل قضوي، يحمل المكونات داخل الفعل اللغوي.[1]

وتختلف العوامل الحجاجية عن الروابط الحجاجية في كونها لا تربط بين متغيرات حجاجية بل تقوم بالحصر والتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تضم مقولة العوامل وهي: (ربما، تقريبا، إلا، قليلا، كثيرا، ما...)[2]

3. أفعال الكلام:

هي الأدوات اللغوية التي تسهم بدور فعال في الحجاج فالهدف من الخطاب الحجاجي هو إزالة شك المرسل إليه في وجهته النظر محل الخلاف.[3]

4. الاستعارة:

وهي نوعان استعارة مكنية واستعارة تصريحية، ففي الحجاج يمكن أن نقول أنه يوجد نوعان وهما استعارة بديعية واستعارة حجاجية:

أ. **الاستعارة البديعية:** غير حجاجية تكون مقصورة لذاتها ولا ترتبط بمقاصد المتكلمين وأهدافهم الحجاجية.

---

[1]- – ينظر : رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية عند أنسكو مبرو ديكرو، المرجع السابق، ص: 233-234.

[2]– ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، المرجع السابق، ص: 27.

[3]– ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان، ط1، 2004، ص: 482.

ب. الاستعارة الحجاجية: وهي الآليات اللغوية التي يمارسها المتكلم بقصد توجيه خطابه لأجل تحقيق أهداف حجاجية.[1]

5. التمثيل (التشبيه):

فهو من أبرز الأساليب إقناعا وحجاجا يستخدم في القران الكريم كمعيار للصدق والدقة في التعبير لإبراز المعاني المجردة في صورة حسية رائعة [2]

6. المناظرة:

هي خطاب إقناعي يهدف إلى التأثير على المرسل إليه لكي يبني موقف جديد أو يغير ذلك الموقف وهما ما يستدعي قصدين، قصد الاعتراض، وقصد الادعاء، فقصد الادعاء يرتبط بالمتكلم الذي يدعي أمرا و يعطي الدليل عليه ، أما قصد الاعتراض فيرتبط بالمخاطب الذي له حق مطالبة المتكلم بإيراد الدليل على إدعائه.[3]

7.السُلَّم الحِجاجي:(*Echelle argumentative*)

السُلَّم الحِجاجي هو علاقة ترتيبيَّة للحجج، يعمد إليها المتكلّم لتحقيق غاية ما، متوخّيًا في ترتيبه للحجج قوّتها. أو هو: "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال، مزوّدة بعلاقة ترتيبيَّة وموفّية بالشَّرطين التّاليين:

أ – كلّ قول يقع في مرتبةٍ ما من السُلَّم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطَّرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

---

[1]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، المرجع السابق، ص:108.

[2]– ينظر: محمد الدالي: الوحدة الفنية في القصة القرآنية، دار مون، قاهرة، ط1، 1993، ص: 181.

[3]– ينظر: طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المرجع السابق، ص: 225.

ب – كلّ قول كان في السلّم دليلا على مدلول مُعيَّن كان ما يعلوه مرتبةً دليلًا أقوى عليه[1] ويُمكننا التّرميز لهذا السُلَّم بما يلي: (أ، ب، ج) حجج تخدم النّتيجة (ن) بإقامة علاقة ترتيبيَّة بين هذه الحجج المنتمية إلى فئة حِجاجيَّة واحدة، بحيث:

أ – القول (أ) إن كان يؤدّي إلى (ن) فالذي يعلوه درجةً أي (ب) و(ج) يؤدّيان إلى النّتيجة (ن) أيضًا والعكس غير صحيح.

ب – الحجَّة (ب) دليلٌ أقوى من (أ) بالنّسبة إلى (ن)، و(ج) أقوى من (ب) كذلك، ففي الأقوال الآتية: زيدٌ من المحسنين (ن).

أ – زيدٌ يُحسن لذويه.

ب – زيدٌ يُحسن للنّاس.

ج – زيدٌ يُحسن لعدوّه.

هذه الحُجج من نفس الفئة الحجاجيَّة، ومن نفس السُلَّم الحجاجي، والنّتيجة المؤدّية إليها واحدة هي: (إحسان زيد)، ولكنّ قوَّة الحُجج تختلف، و(ج) أقواها، لذا يُوضع في أعلى درجات السُلَّم الحِجاجي، ثم تليه (ب) ثمَّ (أ) بهذا الشَّكل:

ن (إحسان زيد).

ج إحسانه لعدوّه.

ب إحسانه للنّاس.

أ إحسانه لذويه.

[1]– طه عبد الرّحمن: اللسان والميزان،المرجع السابق، ص:277 – 278.

قوانين السُّلَّم الحِجاجي:

أهمّ قوانين السُّلَّم الحِجاجي ثلاثة:

1 – قانون تبديل السُّلَّم: ويُسمّيه البعض (قانون النّفي)، ومُقتضاه: إذا كان قولٌ ما (أ) يؤدّي إلى نتيجةٍ مُعيَّنَةٍ (ن) فإنَّ نفيه أي (– أ) سيكون حُجَّة لصالح نقيض النّتيجة (ن)، أو نفيها أي (– ن).

ويُمكن أن نُمثّل لهذا بالمثالين التَّاليين:

1 – زيدٌ يُحسن إلى النّاس، زيدٌ يُحبُّه النّاس.

2 – زيدٌ لا يُحسنُ إلى النَّاس، زيدٌ لا يُحبُّه النّاس.

فقبُول الحِجاج في المثال الأوّل (01) يُؤدّي إلى قبُول الحجاج في المثال (02).

2– قانون القلب: يرتبط هذا القانون بالقانون السَّابق، أي بالنَّفي ومُقتضاه، إذا كانت الحجّتان (أ) و(ب) تؤدّيان إلى نفس النّتيجة (ن)، وكانت (ب) أقوى من (أ)، فإنَّ نقيض (أ) أقوى من نقيض (ب) في التّدليل على نقيض (ن)، أي (– أ) أقوى من (– ب) للتّدليل على (–ن)، ومنه فالسُّلَّم الحجاجي للأقوال المنفيَّة هو عكس السُّلَّم الحجاجي للأقوال الإثباتيَّة.

3– قانون الخفض (*Loi d'abaissement*):

مقتضى هذا القانون أنّه: "إذا صدَق القول في مراتب مُعيَّنة من السُّلَّم فإنّ نقيضه يصدُق في المراتب التي تقع تحتها"[1]

ومثال ذلك السُّلَّم الحجاجي التّالي:

[1]- طه عبد الرّحمن: اللسان والميزان،المرجع السابق، ص:277.

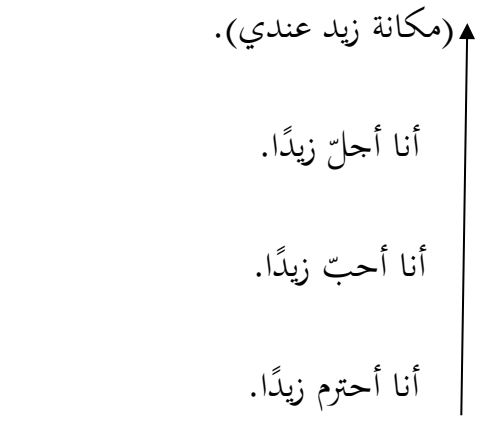

إذا صدق القول في مراتب مُعيَّنة من السُلَّم، فإنَّ نقيضه يصدُق في المراتب التي تقع تحتها، فهذه الحُجج التي صُغتها تؤكّد كلّ حجَّة منها ما سبقها من حُجج، مرتّبة حسب قُوَّتها لخدمة نتيجة واحدة (ن) هي مكانة زيد عندي أو في قلبي. لكنّني إن قُلت: لا أجلُّ زيدًا أي (- ج) لا يستلزم أنّني لا أُحبُّه أو أنني لا أحترمه، أي لا يستلزم (- ب) و(- أ)، لكنَّه يستلزم أنّني لا أجلّه أي يستلزم (-ج) وهكذا.

الفصل الثاني

الصور في القرآن الكريم و أبعادها الحجاجية

المبحث الأول: صور من الحجاج اللغوي في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: صور من الحجاج البلاغي في القرآن الكريم

المبحث الثالث: الحجاج المنطقي

الفصل الثاني: الصور في القرآن الكريم و أبعادها الحجاجية.

المبحث الأول: صور من الحجاج اللغوي في القرآن الكريم.

1-تعريف الحجاج اللغوي:

هو استخدامُ اللغةِ من أجلِ الإقناعِ والتأثيرِ في المتلقّي، وذلك عبر استراتيجياتٍ لغويةٍ ومنطقيةٍ تهدف إلى إثباتِ وجهةِ نظرٍ معيّنة. ونرى أنَّ الحِجاجَ اللغويَّ في القرآنِ الكريمِ استخدَمَ أساليبَ متعدّدةً لإقناعِ الناسِ وتوجيههم إلى الإيمانِ والحقِّ من الأدواتِ اللغوية. نلجأُ إلى الروابطِ والعواملِ الحِجاجيةِ التي تُعدُّ من الأدواتِ المركزيةِ في الحِجاجِ اللغوي، لأنّها تُساهم في تنظيمِ الخطابِ وتوجيهِ تفكيرِ المتلقّي، وتعزيزِ الترابُطِ المنطقيِّ بين الأفكارِ والحُجَج؛ وهي بمثابةِ الجسورِ التي تربطُ أجزاءَ الحُجّةِ الواحدة.

أ – الروابطُ الحِجاجيةُ: هي أدواتٌ لغويةٌ تُستخدمُ للربطِ بين الحُجَجِ والأفكارِ لتقويةِ البرهنةِ والإقناع، مثل: لكن، ثم، فإنّ، إنْ، قد، لَمّا، وغيرها. ونجدُ أنّها تُستخدمُ في القرآنِ الكريمِ بلاغيًّا وفنيًّا لتأكيدِ المعاني وتقويةِ الحُجَج. إليك بعضَ الآياتِ التي تتضمّن الروابطَ الحِجاجية:

1 – الرابط: لكن (للاستدراك)

قوله تعالى في سورة آل عمران، الآية (198):

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]

ثمّ استخدامُ "لكن" للاستدراكِ حالَ المتقين بعدَ ذكرِ حالِ الكافرين.

[1]- سورة أل عمران: الآية 198.

أي: مقدَّرينَ الخلودَ ﴿فِيهَا نُزُلًا﴾، وهو ما يُعَدّ للضيف، و"نُزُلًا" منصوبٌ على الحال من جنّاتٍ، ولعاملِ الظرفيةِ في "فيها" معنى الجزاء أو الثواب من متاعِ الدنيا."[1]

جاءت "لكن" لتُقَيِّدَ المقابلةَ بين حالَيْنِ متناقضَيْن:

- **للكفار: متاعٌ قليلٌ، ثم جهنّم.**
- **المتقون: جنّاتٌ ونعيمٌ مُقيم.**

أي: تُستَخدم **"لكن"** للاستدراك والمقابلة؛ أي أنّه بينما الكفارُ مصيرُهم جهنّمُ رغمَ متاعِ الدنيا القليل، فإنّ الذين اتّقَوا ربَّهُم – أي المؤمنين الصالحين – لهم جزاءٌ مختلفٌ تمامًا: جنّاتٌ، وخلودٌ، ونعيمٌ من عند الله.

2 – الرابط "لأنَّ" (للتعليل):

قال تعالى في سورة البقرة، الآية (275):

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۘ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ﴾[2]

أي: إنّما جُوزُوا بذلك لاعتراضهم على أحكامِ اللهِ في شَرعه، وليس هذا قياسًا منهم للربا على البيع؛ لأنّ المشركين لا يعترفون بمشروعيّة أصل البيع الذي شرعه الله في القرآن. ولو كان هذا من باب القياس، لقالوا: "إنما الربا مثل البيع".

---

[1]– الإمامين الجليلين ،تفسير الجلالين ،دار الكتاب الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2002،ص:76.

[2]–سورة البقرة الآية: 275.

أي: أن السببَ في هذا العقابِ أنّهم كانوا يُبرّرون أكلَ الربا، ويقولون: "**إنّ الربا مثل البيع**"[1]، كلاهما تبادلٌ ماليّ". وهذا قياسٌ فاسدٌ؛ لأنّ البيع فيه منفعةٌ متبادلةٌ دون ظلم، أمّا الربا ففيه استغلالٌ.

ومنه، فإنّ الرابطَ الحِجاجيّ اللغويّ "**لأنّ**" يربط سببَ الحكم بما قبله، فهو يشرح سببَ العذابِ والمظهرِ المهينِ لهم يومَ القيامة.

3 – الرابط "ثمّ" (للترّتيب والتّراخي):

قوله تعالى في سورة النحل، الآية (110):

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2]

هؤلاء صنفٌ آخر كانوا مستضعفين في مكّة، مُهانين في قومهم، فوافقوهم على الفتنة، ثم إنهم أمكنهم الخلاص بالهجرة، فتركوا بلادَهم وأهليهم وأموالَهم ابتغاءَ رضوانِ الله وغفرانه، وانتظموا في سِلكِ المؤمنين، وجاهدوا معَهم الكافرين، وصبروا. فأخبر تعالى أنه من بعدها، أي: تلك الفعلة، وهي الإجابةُ إلى الفتنة، لَغفورٌ لهم، رحيمٌ بهم يوم معادهم."[3]

وقد وردت "ثم" مرّتَين في الآية، لكلٍّ منهما دور حِجاجي مميّز:

1 – "ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتِنوا..."

في هذه الموضع، تفيد "ثم" الترتيبَ مع التراخي؛ وهي تربط بين السياقِ السابق (الحديث عن الذين ظلموا أنفسَهم)، والحالةِ الجديدة لمن هاجروا بعد الفتنة. وتفيد أنَّ الله تعالى يفتح بابَ الرحمة والمغفرة بعد التوبة والهجرة، ولو حصلت متأخّرة، فهي مقبولة.

2 – "ثم جاهدوا وصبروا":

[1]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1999، ص: 213.

[2]– سورة النحل الآية 110.

[3]– ابن كثير تفسير القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 558.

وهنا أيضًا تفيد "ثم" الترتيبَ مع التراخي، أي أن الهجرة لم تكن نهاية المطاف، بل تلاها جهادٌ وصبر؛ مما يدلُّ على أن المغفرة مشروطةٌ بمراحلَ متتالية:

الفتنة ⟵ ثم الهجرة ⟵ ثم الجهاد ⟵ ثم الصبر.

4 – الرابط "قد" (للتقليل أو للتحقيق):

قوله تعالى في سورة الأعلى، الآية (14):

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[1]

قال: يقول تعالى ذِكرُه: قد فاز وفلح من طهَّر نفسَه من دنسِ الذنوبِ وخُبثِ المعاصي، وذلك بالتوبة من الشرك، والعمل بطاعة الله."[2]

تشير الآية إلى أن الإنسانَ الذي يُطَهِّرُ نفسَه، سواء من خلال التوبة، أو الزكاة، أو التوحيد، أو الطاعة والعمل الصالح، هو الذي يفوز ويَفلَح.

وجاءت **"قد"** هنا أداةً للتحقيق، لتأكيد أن هذا النوع من الناس – الذين يتزكّون – قد نالوا الفلاح حقًّا، لا ريب في ذلك، وهذا يعطي الجملة قوّةً تقريريةً، تُشَدُّ بها انتباهاتُ السامعين إلى أهميةِ ما يُقال.

ب – العَوامِلُ الحِجَاجِيَّةُ:

---

[1]– سورة الأعلى الآية :14.

[2]– الأبي جعفر الطبري ، جامع البيان في التأويل القرآن، المجلد 12، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، سنة 1999، ص: 547.

١ – التَّوْكِيدُ

أ – التَّوْكِيدُ اللَّفْظِيُّ:

وهو تِكْرارُ اللَّفْظِ نَفْسِهِ لِتَأْكِيدِ المعْنَى.

مِثَالٌ:

قَوْلُهُ تَعَالَى في سُورَةِ التَّكَاثُرِ، الآيَتَيْنِ (3 – 4):

﴿**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾[1]

قَالَ القرَّاءُ: أَيْ لَيْسَ الأَمْرُ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّفَاخُرِ وَالتَّكَاثُرِ، وَالتَّمَامُ عَلَى هَذَا:

"**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**": أَيْ سَوْفَ تَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ هَذَا.

ثُمَّ: "**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**": وَعِيدٌ بَعْدَ وَعِيدٍ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ التِّكْرَارُ عَلَى وَجْهِ التَّأْكِيدِ وَالتَّغْلِيظِ."[2]

جَاءَ التَّوْكِيدُ هُنَا لِتَأْكِيدِ التَّحْذِيرِ، وَتِكْرَارُ هَذِهِ الجُمْلَةِ يَدُلُّ عَلَى الشِّدَّةِ وَالإِنْذَارِ مِنَ الاشْتِغَالِ بِالتَّكَاثُرِ وَالغَفْلَةِ عَنِ الآخِرَةِ.

و"**كَلَّا**" جَاءَتْ لِتُفِيدَ الرَّدْعَ، وَتِكْرَارُ الجُمْلَةِ "سَوْفَ تَعْلَمُونَ" يُزِيدُ هَذَا التَّهْدِيدَ رَهْبَةً وَتَخْوِيفًا.

وَفِي هَذِهِ الآيَاتِ، يُلْفِتُ انْتِبَاهَ القَارِئِ إِلَى خُطُورَةِ الغَفْلَةِ عَنِ الحِسَابِ وَالآخِرَةِ.

ب – التَّوْكِيدُ المَعْنَوِيُّ:

---

[1]– سورة التكاثر الآية 3–4.

[2]– الأنصاري القرطبي، الجامع الأحكام القرآن، المجلد العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط1،سنة 2000 ،ص :118.

وَيُسْتَخْدَمُ فِيهِ أَلْفَاظٌ مُعَيَّنَةٌ لِتَأْكِيدِ مَعْنَى الجُمْلَةِ، وَتَوْضِيحِ أَنَّ الأَمْرَ مَقْصُودٌ بِالكَامِلِ دُونَ نُقْصَانٍ أَوِ اسْتِثْنَاءٍ.

مِثَالٌ:

قَوْلُهُ تَعَالَى فِي **سُورَةِ الحِجْرِ، الآيَةِ (30)**:

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[1]

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى المَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي قَوْلِهِ: "كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ"، تَأْكِيدٌ مَعْنَوِيٌّ، أَيْ: سَائِرُ المَلَائِكَةِ سَجَدُوا لَهُ جَمِيعًا"[2]، دُونَ اسْتِثْنَاءٍ.

جاء في قوله تعالى: **﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾**

وهما كلمتان للتوكيد، تُستَخدمان معًا لتأكيد شمول الفعل لجميع أفراد الجماعة، وفي هذه الآية تفيدان اجتماعهم واتفاقهم في السجود، أي: لم يختلف منهم أحد.

وهنا تؤكّد الآية أن جميع الملائكة، دون استثناء، سجدوا لآدم طاعةً لأمر الله، والمراد من هذا التوكيد هو إبراز الطاعة الجماعيّة المطلقة من الملائكة.

---

[1]- سورة الحجر الآية: 30.

[2]- ينظر:ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم المجلد الثاني ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1999،ص:521.

3 – التوكيد بالقَسَم:

أقسمَ اللهُ تعالى في كثيرٍ من الآياتِ لتأكيدِ أهميّةِ القول.

مثال:

قال تعالى في **سورة الشمس، الآية (١)**: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾[1]

"قال **مجاهد**: **"وضُحاها"**: أي ضوؤُها وإشراقُها، وهو قسمٌ ثانٍ، وأضافَ الضُّحى إلى الشمس، لأنّه إنما يكون بارتفاعِ الشمس، وقال **قتادة**: بَهاؤها، وقال السُّدِّي: حرُّها.

وروى الضحاك عن ابن عباس: "و**ضُحاها**"، قال: جعل فيها الضوء، وجعلها حارّة، وقال **اليزيدي**: هو انبساطُها، وقيل: ما ظهر بها من كلّ مخلوق؛ فيكون القسم بها وبمخلوقات الأرض كلِّها، والمعروف عند العرب أنَّ الضُّحى: هو النهار كلّه، فذلك لعُموم نور الشمس، ومن قال: إنَّه نور الشمس أو حرّها، فنور الشمس لا يكون إلا مع حرّها، وقال **أبو الهَيْثَم**: الضَّحُّ نقيض الظلّ، وهو نور الشمس على وجه الأرض، وأصلُه "الضُّحا"، فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء، فقلبوها ألفًا."[2]

القسم هنا أداةٌ بلاغيّةٌ قويّة، يستخدمها القرآن الكريم لتأكيد أهميّة ما سيأتي بعده، وجذب انتباه السامع، فأقسم الله تعالى بهذه الآية، و**"وضُحاها"** تعني: ضوءَها الواضح في النهار، ليُبَيِّن عظمة خلقه، ويمهّد للحديث عن تزكية النفس وأثرها في الفلاح أو الخسارة، والتقوى أو الفجور.

---

[1]– سورة الشمس: الآية: 01

[2]– قرطبي،تفسير القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية ط1،ج10،بيروت، لبنان، 2019،ص:49.

4 – التوكيد باللام (لَ):

مثال:

سورة الضحى، الآية (٥): ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾

"روى **سلمة عن ابن إسحاق** قال: **"ولَلآخِرَةُ خيرٌ لكَ من الأولى"**: أي ما عندي في مرجعك إليَّ يا محمد، خيرٌ لك ممّا عُجِّل لك من الكرامة في الدنيا.

وقال **ابن عباس**:أُرِيَ **النبيُّ ﷺ** ما يفتحُ الله على أُمّتِه بعده، فسُرَّ بذلك، فنزل جبريل عليه السلام بقوله ﴿**وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ**﴾

قال **ابن إسحاق**:الفلَجُ في الدنيا، والثوابُ في الآخرة، وقيل: الحوض والشفاعة، وعن **ابن عباس**: ألفُ قصرٍ من لؤلؤٍ أبيض، تُرابُها المسك، رَفَعه **الأوزاعي**، قال: حدّثني إسماعيل بن عبيد الله، عن عليّ بن عبد الله بن عباس، عن أبيه قال: أُرِيَ **النبيُّ ﷺ** ما هو مفتوحٌ على أمّته، فسُرَّ بذلك، فأنزل الله عزّ وجلّ:"**والضّحى**" إلى قوله: **"ولَسوفَ يُعطيكَ ربُّكَ فترضى"** فأعطاه الله عزّ وجلّ ثناءَه، وألفَ قصرٍ في الجنة، تُرابُها المسك، في كلِّ قصرٍ منها ما يَنبغي له من الأزواج والخدَم."[1]

تُؤَكّد هذه اللام، وهي لام التوكيد، في هذه الآية تحقيقَ الوعد الإلهيّ بالنّعيم الكامل **للنبي ﷺ**، حتى يبلغ أقصى درجات الرّضا، **و"سوف"**، مع اللام، تُضاعف التأكيد على أنَّ العطاء آتٍ لا مَحالة، سواءٌ في الدنيا بالفتوحات، أو في الآخرة بالجنّة والكرامة.

[1]– القرطبي تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،المرجع السابق، ص:64.

"قال الله تعالى **لجبريل**: «اذهب إلى محمد، فقل له: إنّ الله يقول لك: إنّا سنُرضيك في أمتك ولا نسوءك».

وقال عليٌّ رضي الله عنه لأهل العراق: إنّكم تقولون إنّ أرجى آية في كتاب الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ**﴾ **[الزمر: 53]**، قالوا: إنّا نقول ذلك، قال: ولكنّا أهل البيت نقول: إنّ أرجى آية في كتاب الله قوله تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ**﴾.

وفي الحديث: لما نزلت هذه الآية، قال **النبيُّ ﷺ**: «**إذاً والله لا أرضى وواحدٌ من أمتي في النار**»."[1]

نستنتج من خلال هذا الكلام أنّ رحمة الله واسعة، ورضاه عن عباده، وشفاعة **النبي ﷺ** لأمّته، والتركيز على الأمل في مغفرة الخالق، مهما كثُرت الذنوب. و(**لام**) التوكيد هنا جاءت تؤكّد بشكل قوي وثابت أنّ الله سبحانه وتعالى سيمنح عطاءً عظيماً، مؤكّداً لا شكَّ فيه، حتى يرضى تمام الرضا، كما ذُكر سابقاً.

5– **أفعال الكلام**، وتنقسم إلى:

أ– الأفعال الإلزامية: (الأمر والنهي)

أولًا: الأمر

"قال تعالى في سورة البقرة، الآية 43 ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾**[البقرة:43.]**

[1]- القرطبي تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،المرجع السابق، ص:65.

أمرٌ معناه الوجوب، ولا خلاف فيه، وقد تقدّم القول في المعنى واشتقاقها، وفي جملة من أحكامها، والحمد لله."[1]

في هذه الآية الكريمة، يأمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بإقامة الصلاة، أي: المحافظة عليها أداءً وانتظامًا، ليس فقط بأركانها الظاهرة، بل بروحها ومعانيها. فهي أساس الدين، وسببٌ للفلاح في الدنيا والآخرة.

والأمر هنا ليس بطلبٍ عادي، وإنما أمر وجوب، أي: أن إقامة الصلاة فرضٌ وركنٌ من أركان الإسلام، لا يُخيَّر فيه المسلم، ويدل على اللزوم والدوام.

ثانيًا: النهي

قال تعالى في سورة الإسراء، الآية 32: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ**﴾

"قال العلماء: قوله تعالى ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ**﴾ أبلغ من أن يقول: "ولا تزنوا"، فإن معناه: لا تدنوا من الزنى، والزِّنى يُمدّ ويُقصر، لغتان."[2]

هذه الآية تتضمن نهيًا صريحًا، لكن التعبير بـ"لا تقربوا الزنى" بدلًا من "لا تزنوا" يحمل دلالة أبلغ وأوسع، لأن الزنى لا يقع فجأة، بل هو نتيجة لمقدّمات وسلوكيات تدريجية، فالنهي عن القرب منه هو نهي عن هذه المقدمات كلها، وهو نهيُ تحريم، يشمل الزنى وكل ما يؤدي إليه، تأكيدًا لعِظم هذا الذنب وسوء عاقبته.

[1]- القرطبي، تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن، ص: 234-235.

[2]- القرطبي، المرجع نفسه، دار الكتب العلمية، المجلد الخامس، ص: 165.

ب- أفعال الوعد والوعيد

أولًا: الوعد:

قال تعالى في سورة النور، الآية 55 ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾**[النور:55]**

"روى **الطبري** في تفسيره:"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قوله (الآية): قال: مكث **النبي** ﷺ عشر سنين خائفًا، يدعو إلى الله سرًّا وعلانية، قال: ثم أُمِر بالهجرة إلى المدينة، قال: فمكث بها هو وأصحابه خائفين، يَصيحون في السلاح، ويمسون فيه، فقال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح؟

فقال **النبي** ﷺ: «**لا تَغْبِرون إلا يسيرًا، حتى يجلس الرجل منكم في الملإ العظيم، محتبيًا فيه، ليس فيه حديدة**»، فأنزل الله هذه الآية.

وحدثنا **ابن بشار**، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: كنت جالسًا مع حذيفة وعبد الله بن مسعود، فقال حذيفة: ذهب النفاق، وإنما كان النفاق على عهد رسول **الله** ﷺ، وإنما هو الكفر بعد الإيمان، فضحك عبد الله، فقال: لمَ تقول ذلك؟

قال: علمت ذلك، فقال: (الآية)، حتى بلغ آخرها."[1]

فعل الوعد بسيط في ظاهره، لكنه عميق في معناه، يُوصل رسالة عظيمة للمؤمنين، ويُؤكّد على سنّة من سُنن الله في التمكين والاستخلاف. وهو من الأساليب البلاغية المشهورة في القرآن الكريم،

[1]- القرطبي، تفسير القرطبي – الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، المجلد التاسع، ص: 343-344.

والمقصود به أن الوعد مُحقَّق الوقوع، لا شك فيه، لذا يُصاغ بصيغة الماضي للتحقيق والتوكيد، ويُعرف هذا بـ أسلوب الماضي التحققي.

ثانيًا – الوعيد:

قال تعالى في سورة النساء، الآية 56 ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾**[النساء:56]**

"قد تقدَّم معنى "**الإِصْلاء**" أول السورة. وقرأ حميد بن قيس: (**نَصْلِيهم**) بفتح النون، أي: نَشْويهم، يُقال: "**شاةٌ مَصْلِيَةٌ**".

ونُصِبَت "**نارًا**" على هذه القراءة بنزع الخافض، وتقديره: "**بِنارٍ**"، (**كلما نضجت جلودهم**): يُقال: "نَضِجَ الشيءُ نُضْجًا"، و"فلانٌ نضيج الرأي" أي: محكمه، والمعنى في هذه الآية: تُبدّل الجلود جلودًا أُخر، وقيل: المعنى: أعدنا الجلد الأوّل جديدًا، كما نقول للصانع: "اصنع لي من هذا الخاتم خاتمًا غيره"، فيكسره ويصوغ لك منه خاتمًا، فالخاتم المصوغ هو الأوّل، إلا أنّ الصياغة تغيّرت، والفضة واحدة، وهذا كالنفس إذا صارت ترابًا وصارت لا شيء، ثم أحياها الله تعالى، وكعهدك بأخٍ لك صحيح، ثم تراه بعد ذلك سقيماً مُدْنَفًا، فتقول له: "كيف أنت؟"، فيقول: "أنا غير الذي عهدتَ"، فهو هو، ولكن الحالة تغيّرت."[1]

تتضمن هذه الآية وصفًا مرعبًا لهذا العذاب لبيان شدّته واستمراريته، وتُبيّن أنّ العذاب لا ينقطع، فتحمل وعيدًا شديدًا يهدف إلى الزجر والتحذير من الإعراض عن آيات الله، والوعيد في هذه الآية نموذج لعظمة أسلوب القرآن الكريم في التأثير على النفوس، مع التأكيد على عدل الله وحكمته، في كل ما يقضي به.

[1]- القرطبي، تفسير القرطبي – الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، المجلد الثالث، ص: 164-165.

ج – الأفعال الإخبارية في القرآن الكريم:

1 – الإخبار عن الله وصفاته:

قال تعالى في سورة البقرة، الآية 255: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**﴾ **[البقرة: 255]**

1. قوله تعالى: "**اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**": أي: لا معبود بحقٍّ إلا هو وحده لا شريك له.

2. "**الْحَيُّ الْقَيُّومُ**":أي: الحيّ في نفسه الذي لا يموت، القيّوم الذي لا ينام، القائم على كل شيء، المدبّر لأمر خلقه."[1]

3. "**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**": "**السِّنة**" هي النعاس، و"**النوم**" أشدّ منها. وهذا نفيٌ للنقص، وإثباتٌ للكمال المطلق لله سبحانه، الذي لا يغفل ولا ينام عن خلقه."[2]

4. "**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**": أي: الجميع عبيده، وتحت قهره وسلطانه، وهو المتصرف والمسؤول عن الخلق جميعًا، في الأرض والسماء.

5. "**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**": لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه، وهذا من عظمته وجلاله، فالشفاعات كلها لا تقع إلا بإذنه ومشيئته.

6. "**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**": أي: يعلم ما مضى من الأمور الماضية، وما سيأتي من الأمور المستقبلية.

---

[1]- تفسير الطبري، المجلد الثالث، ص: 6-7.

[2]- المرجع نفسه، ص:8

7."وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ":لا يحيط أحد بشيء من علم الله، إلا بما أذن لهم به"[1]، وهو علم جزئي محدود يُمنح لمن شاء الله.

8. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

الكرسي: موضع القدمين، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وعَظَمة الكرسي تدل على عظمة من هو فوقه، أي: الله تعالى"[2].

9. ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾

أي: لا يُثقله ولا يصعب عليه حفظ السماوات والأرض"[3]، لكمال قدرته وعلمه.

10. ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

أي: المتعالي عن خلقه في ذاته وصفاته، العظيم في ملكه وسلطانه."[4]

2 – الإخبار عن الخَلق:

قال تعالى في سورة الرحمن، الآية 14: **﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[الرحمن:14]**

1.قوله تعالى: "خَلَقَ الْإِنسَانَ"

لما ذكر سبحانه خلق العالم الكبير من السماء والأرض، وما فيهما من الدلالات على وحدانيته وقدرته، ذكر خلق العالم الصغير، باتفاق من أهل التأويل، أي: آدم عليه السلام.

قوله تعالى: **"مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ"**

---

[1]- تفسير الطبري، المجلد الثالث، المرجع السابق، ص: 10.

[2]- المرجع نفسه، ص:11.

[3]- المرجع نفسه، ص:13.

[4]- المرجع نفسه، ص:14.

"**الصلصال**": الطين اليابس الذي يُسمَع له صلصلة، شبّهه بالفخّار الذي طُبِخ.

وقيل: هو طين خُلط برمل، وقيل أيضًا: هو الطين المنتن من هَلِ اللحم وأهل إذا أنتن"[1].

الآية تُخبر عن مادة خلق آدم عليه السلام، وهي من الطين الذي يصبح يابسًا ويُصدر صوتًا كالفخّار، وهذا دليل على قدرة الله في خلق الإنسان من مادة بسيطة، ثم جعله كائنًا عاقلًا مكرَّمًا، وفي السورة تظهر دلائل قدرة الله ورحمته، وتلفت النظر إلى عظمة خلق الإنسان، وكيف خُلق من مادة متواضعة، ليكون ذلك مدعاة للتفكّر والامتنان.

3 – الإخبار عن الأنبياء والأمم السابقة:

قال تعالى في سورة الأعراف، الآية 59: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ **[الأعراف:59]**

قال أبو جعفر الطبري: "أقسم ربنا جلّ ثناؤه للمخاطَبين بهذه الآية: إنّه أرسل نوحًا إلى قومه منذرًا لهم بأسه ومخوفًا إيّاهم بسبب عبادتهم غيره، فقال لمن كفر منهم: "**يا قوم**، اعبدوا الله الذي له العبادة، واذلّوا له بالطاعة، وأخضعوا له بالاستكانة، ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، فإنه ليس لكم معبود يستوجب عليكم العبادة غيره"، ثم قال لهم:"إني أخاف عليكم إن لم تفعلوا ذلك عذاب يوم عظيم"،يعني: عذاب يوم يعظُم فيه بلاؤكم بمجيئه إليكم بسخط ربكم."[2]

تُبيِّن الآية بداية قصة نوح عليه السلام، وهو أول رسول أُرسل إلى الناس بعد أن وقع الشرك، وفيها تظهر رحمة الله بإرسال الرسل، وشفقة نوح على قومه، وتحذيره لهم من عذاب الله إن لم يستجيبوا لدعوته إلى التوحيد.

---

[1]– تفسير القرطبي، المجلد التاسع، ص: 105.

[2]- تفسير القرطبي، المجلد الخامس، ص:520.

4 – الإخبار عن اليوم الآخر:

قال تعالى في سورة الزمر، الآية 68 ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾**[الزمر: 68]**

"بيّن الله تعالى في هذه الآية ما يكون بعد قبض الأرض وانتهاء الحياة، من خلال الحديث عن النفخ في الصور، قال **المفسرون:** النفخ في الصور يكون مرّتين: النفخة الأولى: تُميت الخلائق، النفخة الثانية: تُبعث فيها الخلائق للحساب، وقد ذُكر ذلك أيضًا في تفسير سورتي النمل والأنعام، والذي ينفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام، وقيل: يكون معه جبريل، لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال:**قال رسول الله ﷺ**:«**إنّ صاحبي الصور بأيديهما – أو في أيديهما – قرنان، يلاحظان النظر متى يؤمران**»"[1].

تتحدث الآية عن أحداث يوم القيامة، وخصوصًا النفخ في الصور، وهي من أعظم الأحداث الكونية، حيث تغيّر نظام الكون بأكمله، وتصف الآية مشهدين عظيمين:

الأول: نفخة الفناء، التي تُميت جميع الخلائق.

الثاني: نفخة البعث، التي تُعيدهم للحياة استعدادًا للحساب.

5 – الإخبار عن القرآن نفسه

قال تعالى في سورة الإسراء، الآية 9 ﴿**إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾**[الإسراء:09]**

[1]- تفسير القرطبي، المجلد الثامن، ص: 182.

قال الطبري في تفسيره: يقول تعالى ذكره: إنّ هذا القرآن أنزلناه على نبينا **محمد ﷺ**، يرشد من اهتدى به "لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ"، أي: للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل، وذلك دين الله الذي بعث به أنبياءه، وهو الإسلام، فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى السبيل القَصْد التي ضلّ عنها سائر أهل الملل المكذّبين به"[1]

القرآن الكريم يرشد الناس إلى الطريق الأعدل والأقوم، سواء في:

- **العقائد**
- **العبادات**
- **الأخلاق**
- **المعاملات**

أي: إنه يدلّ على الطريق المستقيم في جميع شؤون الحياة، ويظهر دوره أيضًا في التبشير للمؤمنين العاملين، مما يدل على أن القرآن ليس فقط كتاب تشريع وأحكام، بل هو كذلك كتاب رحمة وتطمين وبشرى، يحمل في طيّاته الهداية والأمان للمؤمنين.

د- الأفعال الإنشائية:

1 – الإنشاء الطلبي:

أ – النداء:

قال تعالى في سورة الأحزاب، الآية 1: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ **[الأحزاب:01]**

[1]- تفسير الطبري، المجلد الثامن، ص: 43-44.

"يا أيها النبي": "أيّ" نُوديت بـ **"يا"** لأنها نداء للمفرد، و"**النبي**" نعت لها.

وقد اختلف النحويون في إعراب "النبي": جمهور النحويين: **"النبي"** نعتٌ لـ"**أيّ**"، إلا **الأخفش**: فإنه قال إنها صلةٌ لـ"**أيّ**"، لكن هذا قول مرجوح، لأن الصلة لا تكون إلا جملة، وليس اسمًا مفردًا، كما قال النحاس:وهو خطأ أكثر النحويين، لأن الصلة لا تكون إلا جملة، والاحتيال له فيها قال إنه لما كان نعتا لازما سمي صلة، وهكذا الكوفيون يوسّعون المصطلح ويسمّون نعت النكرة صلةً لها، وهو رأي اصطلاحي."[1]

وقوله تعالى"**يا أيها النبي**": نداءٌ فيه تشريف وتعظيم مباشر من الله عز وجل **لنبيه ﷺ**. **"اتقِ الله"**: أمرٌ بتقوى الله، أي الخوف منه، وطاعته، والتمسك بأوامره، واجتناب نواهيه.

وهذا النداء موجّه إلى شخصية عظيمة **ومرموقة** (**النبي ﷺ**)، مما يُعطي وزنًا كبيرًا للحُجّة، ويُشعر السامع أو القارئ بأهمية الكلام، ويجعله يتوقّع توجيهًا جادًا وحاسمًا، مما يُعزّز من قوة التأثير البلاغي للنص القرآني.

ب- التمني

قال تعالى في سورة النساء، الآية 73 ﴿**وَلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾**[النساء:73]**

وقول المنافق: **"يا ليتني كنت معهم"** على وجه الحسد أو الأسف على فوت الغنيمة مع الشك في الجزاء من الله، **"فأفوز"** جواب التمني، ولذلك نُصِب وقرأ الحسن (فأفوز) بالرفع على أنه تمنى الفوز، فكأنه قال: **"يا ليتني أفوز فوزًا عظيمًا"**.

والنصب هنا في جواب التمني، والمعنى: إن كنت معهم أفز.

[1]- تفسير القرطبي، المجلد السابع، ص: 76-77.

النصب فيه بإضمار "أن" لأنه محمول على تأويل المصدر، والتقدير: "**يا ليتني كنت في حضور فأفوز**"[1].

في هذه الآية جاء التمني بـ"**يا ليتني**"، وهذه تعبر عن الندم والحسرة، و"يا ليت" هي أداة تفيد التمني لما لا يُرجى وقوعه أو لما فات. وهذا تعبير عن التمني، وهو تمني حصول شيء فات.

لكن هذا التمني ليس نابعًا من حب الجهاد أو رغبة في نيل الشهادة، بل بدافع الطمع في الغنيمة والمكاسب الدنيوية فقط.

3- الرجاء

قال تعالى في سورة البقرة، الآية 183: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾**[البقرة:183]**

وأما تأويل قوله: "لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" فإنه يعني به: لتتقوا أكل الطعام وشرب الشراب وجماع النساء فيه.

يقول: فرضت عليكم الصوم والكف عما تكونون بترك الكف عنه مفطرين، لتتقوا ما يفطركم في وقت صومكم، وبمثل هذا قال جماعة من أهل التأويل: حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط **عن السدي**: أما قوله: "لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"، يقول: فتتقون من الطعام والشراب والنساء ومثل ما اتقى النصارى قبلكم."[2]

كلمة "**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**" في نهاية الآية تحمل معنى الرجاء، وهي تعني أن الله سبحانه وتعالى شرع الصيام رجاءً أن يتحقق من خلاله التقوى.

---

[1]- تفسير القرطبي، المجلد الثالث، ص: 179.

[2]- تفسير الطبري، المجلد الثاني، ص: 135-136.

وهنا يُفهم أن الله شرع الصيام للمؤمنين، رجاء أن يكون وسيلة لتزكية النفس وتقوية الصلة بالله، وزيادة الوعي بالله ومراقبته.

2- الإنشاء غير طلبي:

أ- التعجب:

قال تعالى في سورة يس، الآية 77 ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ**﴾ **[يس:77]**

"التعجب في هذه الآية يتجلى في التحول العجيب والمثير للدهشة: أي أن الإنسان يكون نطفة مهينة وضعيفة (أي شيء لا قيمة له تقريبًا) ثم يصبح إنسانًا يجادل ويخاصم بجرأة ووضوح.

وقوله: "**فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ**" يحمل فجائية وتعجبًا، كأن القرآن يصور هذا الانتقال المدهش كأمر يستحق التأمل والدهشة.

ونزلت هذه الآيات من آخر سورة يس، وعلى كل تقدير سواء كانت نزلت في (**أبي بن خلف**) أو (**العاصي بن وائل**) أو فيهما معًا، فهي عامة في كل من أنكر البعث.

والألف واللام في قوله تعالى: "**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ**" للجنس، تعم كل منكر للبعث.

ويفسر قوله: "**أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ**" بأن الله ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين"[1]، ليدل على قدرة الله في الخلق ثم الحساب والخصومة.

[1]- تفسير ابن كثير، المجلد الثالث، ص: 220.

ب- المدح والذم:

1- المدح:

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ **[سورة المؤمنون، الآية 1]**

المدح هنا موجه للمؤمنين الذين آمنوا بالله وبرسوله واتبعوا طريق الحق، وأن هؤلاء المؤمنين قد حققوا النجاح الحقيقي والفلاح، وهو النجاح في الدنيا والآخرة. وهذه الآية تشجع كل مسلم على أن يكون مؤمنًا حقًا ليكن من الفائزين، وتؤكد على مكانة المؤمنين بأن الله يرفع مكانتهم ويبين أن إيمانهم سبب لفلاحهم، وفي قوله تعالى: "**قد أفلح المؤمنون**" أي قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف."[1]

2- الذم:

قوله تعالى: ﴿تَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ **[سورة الفجر، الآية 20]**.

الذم موجه للذين يحبون العاجلة، أي يفضلون ملذات الدنيا وأمورَها المؤقتة مثل المال والشهوة والراحة على حساب الآخرة. وقوله: "تذرون الآخرة" يعني يهملون التفكير في الحياة بعد الموت ونتائج أعمالهم في الدنيا، التفسير: يعني أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم ونصيب غيرهم. وقال ابن زيد: هو أنه إذا أكل ماله أكل بمال غيره، ولا يفكر هل أكل من مال حلال أم حرام.

وقوله: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ يعني يحبونه حبًا شديدًا، كثيرًا سواء كان حلاله أم حرامه"[2]

---

[1]- تفسير ابن كثير، المجلد الثالث، ص: 225.

[2]- تفسير القرطبي، المجلد العاشر، ص: 36.

المبحث الثاني: صُوَرٌ من الحِجَاجِ البَلَاغِيِّ في القُرآنِ الكَرِيمِ.

1- تعريف الحِجَاجِ البَلَاغِيِّ:

"هو استخدامُ وسائلَ وأَساليبَ بَلَاغِيَّةٍ في الخِطابِ من أَجْلِ الإقناعِ والتأثيرِ على المتلقِّي، ويعتمدُ على التدرُّجِ في عرضِ الحُجَجِ، واستعمالِ الصُّوَرِ البيانيةِ، والأساليبِ الإنشائيةِ، والتَّكرارِ، وغيرها من الوسائلِ البلاغيَّةِ لتقويةِ الحُجَّةِ وإثارةِ عاطفةِ المتلقِّي، لا فقط عقلِه، ويُعدُّ هذا النوعُ من الحِجَاجِ جزءًا من البَلاغَةِ الحِجَاجِيَّةِ التي تهتمُّ بكيفيَّةِ توظيفِ اللغةِ لإقناعِ الآخَرِ، وليس فقط إيصالَ المعلومةِ.

أ- التَّشْبِيهُ:

فقد عرَّفَه الخَطِيبُ القَزْوِينِيُّ بـ: (هو الدَّلالةُ على مُشاركةِ أمرٍ لأمرٍ ما في معنًى)."[1]

حيث إنَّ التَّشْبِيهَ هو أسلوبٌ من أساليبِ البَيانِ، وذلك لأنَّه أقربُ وسيلةٍ للإيضاحِ والإبانةِ، لذا كثُرَ في كلامِ العربِ عامَّةً، وفي القُرآنِ الكريمِ خاصَّةً، وحتَّى في أحاديثِ **رسولِ اللهِ ﷺ**، وقِيلَ إنَّه: بَيَانُ أنَّ شيئًا أو أشياءَ شاركتْ غيرَها في صِفَةٍ أو أكثرَ، بأداةٍ هي الكافُ، أو نحوِها، ملفوظةٍ أو ملحوظةٍ."[2]

ومن هذه التَّعريفاتِ نستنتجُ أنَّ التَّشْبِيهَ: (هو أسلوبُ بيانٍ يُشاركُ فيه أمرٌ آخرَ في معنًى أو أكثرَ، حتَّى وإنِ اختلفا في أمورٍ أُخرى)، وهنا، التَّشْبِيهُ لا يتوقَّفُ على تَزْيِينِ الكلامِ فقط، بل يُؤدِّي وظائفَ حِجَاجِيَّةً متعدِّدةً، مثل:

- **توضيحِ الفِكْرَةِ وتَقْرِيبِ المعنَى.**
- **تَقْوِيَةِ الحُجَّةِ وإثْبَاتِها.**

---

[1]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، سنة 2003، ص:164.

[2]- عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربيَّة، بيروت، 1974، ص:62.

- **إثارةِ الانفِعَالِ العاطفيِّ.**

نَذْكُرُ مِثَالًا: للتَّشْبِيهُ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ، فيمَا يَلِي:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦)**﴾[سورة إبراهيم:**24-25-26**]

هَذَا النَّوْعُ مِنَ التَّشْبِيهِ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ فِيهِ المُنْتَزَعُ مِنْ مُتَعَدِّدٍ، يَكُونُ صُورَةً تَمْثِيلِيَّةً تُقَدِّمُ لَنَا –عَادَةً– نَوْعًا مِنَ التَّشْخِيصِ الحَيِّ لِمَوْقِفٍ أَوْ تَجْرِبَةٍ، وَمَا تُثِيرُهُ مِنْ فِعْلٍ وَرَدِّ فِعْلٍ.

نَجِدُ أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ التَّمْثِيلِيَّةَ احْتَوَتْ عَلَى **تَشْبِيهٍ مُرْسَلٍ مُجْمَلٍ** فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :﴿**مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ**﴾، سُمِّيَ مُرْسَلًا لِأَنَّ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ مَوْجُودَةٌ، وَهِيَ "**الكَافُ** "فِي "**كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ**"، وَهُوَ تَشْبِيهٌ **مُجْمَلٌ** لِأَنَّ **وَجْهَ الشَّبَهِ** لَمْ يُذْكَرْ صَرَاحَةً فِي الآيَةِ، فَلَمْ يَقُلْ –مَثَلًا" :–**كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ فِي ثَبَاتِهَا وَدَوَامِ نَفْعِهَا**[1]"، بَلْ تُرِكَ لِلْمُتَلَقِّي أَنْ يَسْتَنْبِطَهُ مِنْ بَقِيَّةِ الآيَةِ.

إِذًا، فَالتَّشْبِيهُ فِي الآيَةِ: تَشْبِيهٌ مُرْسَلٌ مُجْمَلٌ.

[1]– وليد منير، النص القرآني من الجملة إلى العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1997، ص:69..

أَرْكَانُ التَّشْبِيهِ:

الركن	في الآية
المُشَبَّهُ	**الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**
المُشَبَّهُ بِهِ	**الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ**
أَدَاةُ التَّشْبِيهِ	**الكَافُ "كَ"**
وَجْهُ الشَّبَهِ	**غَيْرُ مَذْكُورٍ صَرَاحَةً، لَكِنَّهُ مَفْهُومٌ ضِمْنًا**

إِنَّ البَلَاغَةَ فِي هَذَا التَّشْبِيهِ أَنَّهُ يَرْسُمُ صُورَةً حَيَّةً فِي ذِهْنِ السَّامِعِ، حَيْثُ يُقَرِّبُ المَعْنَى المجَرَّدَ (الكَلِمَة) إِلَى صُورَةٍ مَحْسُوسَةٍ (الشَّجَرَة)، وَمِنْهَا يَبْرُزُ:

- **أَثَرُ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ فِي النَّفْسِ وَالمُجْتَمَعِ.**
- **دَوَامُ نَفْعِهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.**
- **ثَبَاتُهَا وَعُلُوُّهَا وَارْتِبَاطُهَا بِالسَّمَاءِ، مِمَّا يُرْمَزُ إِلَى الِارْتِبَاطِ بِاللَّهِ.**

وَتكَمَّلُ فَائِدَةُ هَذَا التَّشْبِيهِ فِي السِّيَاقِ القُرْآنِيِّ، حَيْثُ إِنَّ الآيَةَ جَاءَتْ لِتَضْرِبَ مَثَلًا لِلْإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

فَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ قَوْلٍ، بَلْ لَهَا جُذُورٌ فِي القَلْبِ، وَفُرُوعٌ فِي السَّمَاءِ (السُّلُوك، العَمَل، الأَثَر)، فَقَدْ زَرَعَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ فِي النَّفْسِ حُبَّ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَحَثَّتْ عَلَى قَوْلِهَا وَالعَمَلِ بِهَا.

أَمَّا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [سورة إبراهيم: 26]، فَهَذَا مَثَلُ كُفْرِ الكَافِرِ، لَا أَصْلَ لَهُ وَلَا ثَبَاتَ، مُتَشَبِّهٌ بِشَجَرَةِ الحَنْظَلِ، وَيُقَالُ لَهَا "الشِّرْيَانُ"، أَيْ لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا ثَبَاتَ.

كَذَلِكَ الكُفْرُ، لَا أَصْلَ لَهُ وَلَا فَرْعَ، وَلَا يَصْعَدُ لِلْكَافِرِ عَمَلٌ، وَلَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ شَيْءٌ"[1]، هَذَا التَّشْبِيهُ مُرْسَلٌ مُفَصَّلٌ، لِأَنَّهُ ذُكِرَ فِيهِ:

أَدَاةُ التَّشْبِيهِ، وَهِيَ **"كَ"** فِي **"كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ"**

وَذُكِرَ فِيهِ وَجْهُ الشَّبَهِ – فِي المعْنَى – وَهُوَ: عَدَمُ الثَّبَاتِ، وَعَدَمُ الفَائِدَةِ.

أَرْكَانُ التَّشْبِيهِ:

المُشَبَّهُ: الكَلِمَةُ الخَبِيثَةُ (وَهِيَ مَثَلُ الكُفْرِ، أَوِ القَوْلِ البَاطِلِ، أَوِ العَمَلِ السَّيِّئِ).

المُشَبَّهُ بِهِ: انْعِدَامُ الثَّبَاتِ، وَعَدَمُ النَّفْعِ، وَسُرْعَةُ الزَّوَالِ.

أَدَاةُ التَّشْبِيهِ: "كَ" الكَافِيَّةُ.

فِي هَذِهِ الصُّورَةِ، يُشَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى الكَلِمَةَ الخَبِيثَةَ (مِثْل الكُفْرِ أَوِ البَاطِلِ) بِشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ لَا جُذُورَ لَهَا نُمْسِكُهَا بِالأَرْضِ، بَلْ هِيَ مُجْتَثَّةٌ، أَيْ مَقْلُوعَةٌ مِنْ جُذُورِهَا، لَيْسَ لَهَا قَرَارٌ، أَيْ لَا تَثْبُتُ فِي الأَرْضِ وَلَا تَنْمُو، وَبِالتَّالِي لَا تُنْتِجُ نَفْعًا، هَذَا التَّشْبِيهُ يُوَضِّحُ فَسَادَ الكَلِمَةِ البَاطِلَةِ وَسُرْعَةَ زَوَالِهَا، مِثْلَ شَجَرَةٍ لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا ثَمَرَ.

2– التَّكْرَارُ: دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ عَلَى سُورَةِ الكَافِرُونَ

التَّكْرَارُ هُوَ: "إِعَادَةُ لَفْظٍ أَوْ عِبَارَةٍ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِي سِيَاقِ الكَلَامِ، لِتَأْكِيدِ المعْنَى، أَوْ لِإِبْرَازِ دَلَالَةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَقَدْ يَكُونُ التَّكْرَارُ لَفْظِيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا"، وَيُعَدُّ التَّكْرَارُ مِنَ الأَسَالِيبِ البَلَاغِيَّةِ المسْتَخْدَمَةِ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَيَهْدِفُ إِلَى: التَّأْكِيدِ، لَفْتِ الانْتِبَاهِ، إِضْفَاءِ مُوسِيقَى دَاخِلِيَّةٍ عَلَى النَّصِّ."[2]

[1]– ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1999، ص:502.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني، ص١٤٣.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الكَافِرُونَ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾[الكافرون1-4]

يَقُولُ اللَّهُ آمِرًا **نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم**: "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ"، يُنَادِيهِمْ، وَيُعْلِنُ لَهُمْ بِالنِّدَاءِ، وَهَذَا يَشْمَلُ كُلَّ كَافِرٍ، سَوَاءٌ كَانَ مِنَ المشْرِكِينَ، أَوْ مِنَ الْيَهُودِ، أَوِ النَّصَارَى، أَوِ الشُّيُوعِيِّينَ، أَوْ غَيْرِهِمْ، كُلُّ كَافِرٍ يَجِبُ أَنْ تُنَادِيَهُ بِقَلْبِكَ، أَوْ بِلِسَانِكَ إِنْ كَانَ حَاضِرًا، لِتَتَبَرَّأَ مِنْهُ وَمِنْ عِبَادَتِهِ.

تَكَرَّرَتِ الجُمَلُ فِي السُّورَةِ مَرَّتَيْنِ، لِلتَّأْكِيدِ عَلَى انْقِطَاعِ الوِصَالِ بَيْنَ عِبَادَةِ المؤْمِنِ وَعِبَادَةِ الكَافِرِ، وَانْفِصَالِ الطَّرِيقَيْنِ.

"لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ": أَيْ لَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ، وَهُمُ الأَصْنَامُ.

"وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ": أَيْ لَا تَعْبُدُونَ اللَّهَ"[1] وَحْدَهُ كَمَا أَعْبُدُهُ.

فَالتَّكْرَارُ هُنَا جَاءَ لِيُؤَكِّدَ التَّبَرِّي التَّامَّ مِنَ الكُفْرِ وَأَهْلِهِ، وَيُثَبِّتَ التَّوْحِيدَ فِي نُفُوسِ المؤْمِنِينَ، وَلِيُغْلِقَ كُلَّ بَابٍ لِلتَّوَافُقِ الدِّينِيِّ مَعَ أَهْلِ البَاطِلِ.

و(ما) هُنَا فِي قَوْلِهِ: ﴿**ما أعبد**﴾، بِمَعْنَى (**مَن**)، لِأَنَّ الاِسْمَ المؤْصُولَ إِذَا عَادَ إِلَى اللهِ يَكُونُ بِاللَّفْظِ (**مَنْ**)، ﴿**لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣)**﴾**[الكافرون:2-3]**

يَعْنِي: أَنَا لَا أَعْبُدُ أَصْنَامَكُمْ، وَلَا أَنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللهَ.

[1]- تفسير سورة الكافرون وبيان معنى التكرار فيها، ابن عثيمين، 1421 هـ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾، يُخَاطِبُ بِهِ المشْرِكِينَ الَّذِينَ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا، فَيَكُونُ الخِطَابُ لَيْسَ عَامًّا، وَهَذَا مِمَّا يُضْعِفُ القَوْلَ بِعُمُومِهِ بَعْضَ الشَّيْءِ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿**لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾، أَيْ: لَا أَعْبُدُ الأَصْنَامَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا.

فَلَيْسَتْ عِبَادَتِي كَعِبَادَتِكُمْ، وَلَا عِبَادَتُكُمْ كَعِبَادَتِي، فَيَكُونُ هَذَا نَفْيًا لِلْفِعْلِ، لَا لِلْمَفْعُولِ بِهِ، أَيْ: لَيْسَ نَفْيًا لِلْمَعْبُودِ، وَلَكِنَّهُ نَفْيٌ لِنَوْعِ العِبَادَةِ، لِأَنَّ عِبَادَتِي خَالِصَةٌ للهِ، وَعِبَادَتَكُمْ عِبَادَةُ شِرْكٍ."[1]

وَمِنْ هُنَا، فَإِنَّ لِلتَّكْرَارِ فَائِدَةً فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، حَيْثُ يُعَدُّ مِنَ السِّمَاتِ البَلَاغِيَّةِ وَالأُسْلُوبِيَّةِ البَارِزَةِ الَّتِي تَحْمِلُ عِدَّةَ أَبْعَادٍ وَدَلَالَاتٍ، مِنْهَا:

- **يُسْتَخْدَمُ التَّكْرَارُ لِتَأْكِيدِ وَتَثْبِيتِ المَعَانِي فِي عُقُولِ السَّامِعِينَ، وَتَرْسِيخِ العِبْرَةِ.**
- **تَكْرَارُ بَعْضِ القَصَصِ أَوِ المَعَانِي بِأُسْلُوبٍ مُخْتَلِفٍ يُسَاهِمُ فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ، فِي البَلَاغَةِ وَالتَّنَوُّعِ، وَيُنَاسِبُ سِيَاقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ.**
- **تَكْرَارُ مَوْضُوعٍ أَوِ اسْمٍ أَوْ حَدَثٍ، يُشِيرُ إِلَى أَهَمِّيَّتِهِ فِي الرِّسَالَةِ القُرْآنِيَّةِ، كَمَا فِي تَكْرَارِ ذِكْرِ العِبَادَةِ.**
- **الرَّدُّ عَلَى الشُّبُهَاتِ أَوِ الإِنْكَارِ، فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ، يُكَرِّرُ القُرْآنُ الحُجَجَ أَوِ الرُّدُودَ عَلَى المُكَذِّبِينَ لِتَفْنِيدِ أَقْوَالِهِمْ وَتَأْكِيدِ الحَقِّ.**
- **يَرْبِطُ السُّورَةَ أَوِ الآيَاتِ فِي وَحْدَةٍ مَوْضُوعِيَّةٍ مُتَمَاسِكَةٍ.**

[1]- تفسير سورة الكافرون وبيان معنى التكرار فيها، ابن عثيمين، 1421 هـ.

ج– الكِنَايَة:

إِنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الأُسْلُوبِ البَلَاغِيِّ يُسْتَخْدَمُ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ مَعْنًى مُعَيَّنٍ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ، بِحَيْثُ يُذْكَرُ اللَّفْظُ الَّذِي يَحْمِلُ دَلَالَةً خَفِيَّةً أَوْ غَيْرَ صَرِيحَةٍ، وَيُفْهَمُ المَعْنَى المَقْصُودُ مِنَ السِّيَاقِ، وَتَعْتَمِدُ الكِنَايَةُ عَلَى الإِيْحَاءِ وَالتَّلْمِيحِ بَدَلًا مِنَ التَّصْرِيحِ، وَلَهَا حُضُورٌ بَارِزٌ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، حَيْثُ اسْتَخْدَمَهَا القُرْآنُ بِأُسْلُوبٍ بَلَاغِيٍّ رَفِيعٍ، يُخْدِمُ المَعَانِيَ العَمِيقَةَ بِأُسْلُوبٍ رَاقٍ وَمُؤَثِّرٍ.

وَنَذْكُرُ ذَلِكَ فِيمَا يَلِي:

1– سُورَةُ البَقَرَة – الآيَةُ 24

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

فِيمَا يَظْهَرُ فِي هَذِهِ الآيَةِ، فَ"وَلَنْ تَفْعَلُوا" هِيَ لِلنَّفْيِ بِصِيغَةِ التَّأْكِيدِ فِي المُسْتَقْبَلِ، أَيْ: لَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ أَبَدًا. وَهَذَا بِنَفْسِهِ يُعَدُّ مُعْجِزَةً؛ فَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ خَبَرًا قَاطِعًا مُتَقَدِّمًا غَيْرَ خَائِفٍ وَلَا مُتَرَدِّدٍ، أَنَّ هَذَا القُرْآنَ لَا يُعَارَضُ بِمِثْلِهِ أَبَدَ الدَّهْرِ.

وَقَدْ وَقَعَ الأَمْرُ كَمَا قَالَ، فَلَمْ يُعَارِضْ أَحَدٌ القُرْآنَ، وَلَنْ يَسْتَطِيعَ، وَكَيْفَ يُشْبِهُ كَلَامُ المَخْلُوقِينَ"[1] وَالقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ.

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ، كِنَايَةٌ عَنْ عَجْزِ البَشَرِ فِي المَاضِي وَالمُسْتَقْبَلِ أَمَامَ كَلَامِ اللهِ، وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ العَجْزِ التَّامِّ وَالدَّهْشَةِ مِنْ إِعْجَازِ الكِتَابِ.

[1]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1999، ص :61.

2- سُورَةُ المَائِدَة – الآيَةُ 64

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ اليَهُودِ – عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللهِ المُتَتَابِعَةُ – كَمَا وَصَفُوهُ بِالْفَقْرِ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ، وَعَبَّرُوا عَنِ البُخْلِ بِقَوْلِهِمْ: "يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ".

فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ قَائِلًا: **"بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ"**[1]، وَفِي هَذَا كِنَايَةٌ عَنْ سَعَةِ عَطَائِهِ، وَجُودِهِ المُطْلَقِ.

والمُرَادُ أَنَّهُ تَعَالَى وَاسِعُ الفَضْلِ، جَزِيلُ العَطَاءِ، لَا يُمْسِكُ نِعْمَةً، وَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَهُ خَزَائِنُهُ، وَهُوَ الَّذِي مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ، فَعِبَارَةُ "يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ" هِيَ كِنَايَةٌ بَلَاغِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى الجُودِ وَالكَرَمِ وَالْإِنْفَاقِ.

خُلاصَة الفَائِدَة البَلَاغِيَّة لِلكِنَايَة:

- **التَّعْبِيرُ عَنِ المَعَانِي العَقَائِدِيَّةِ الكُبْرَى بِأُسْلُوبٍ رَمْزِيٍّ رَفِيعٍ.**
- **التَّوْقِيرُ فِي ذِكْرِ اللهِ وَأَفْعَالِهِ دُونَ الخَوْضِ فِي تَفْصِيلٍ لا يَلِيقُ بِمَقَامِهِ.**
- **إِثَارَةُ إِعْجَازٍ بَيَانِيٍّ يُوَافِقُ الذَّوْقَ العَرَبِيَّ وَيُثِيرُ التَّأَمُّلَ.**

أي: هُنا استخدم اليهود كلمة **"يَدُ مَغْلُولَةٌ"** كِنايةً عن البُخل، وهذا قولٌ باطلٌ وكُفرٌ، فردَّ اللهُ عليهم بقوله" :**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ."هذه ردٌّ من الله على ما قاله اليهود؛ أنه يُعطي ويُنفقُ بكَرَمٍ وسَخاء.

و**"اليَدُ المَبْسُوطَةُ"** كِنايةٌ عن الكَرَمِ والجُودِ والعَطاء.

[1]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1999، ص :75.

3- سورة الأعراف، الآية 149

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (149)﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: "**ولمَّا سُقِطَ في أيديهم**"، ولما نَدِمَ الذين عبدوا العِجْلَ الذي وصف جلَّ ثناؤه صِفتَه، عند رجوع موسى إليهم، واستسلموا لموسى وحُكمِه فيهم.

وكذلك تقول العربُ لكلِّ نادِمٍ على أمرٍ فاتَ منه أو سَلَف، وعاجِزٍ عن الشيء."[1] هذه الكِنايةُ تدلُّ على النَّدَمِ الشديدِ والحَسْرَة، أي: لما أدركَ قومُ موسى خطأهم بعد أن عبدوا العِجل، شعروا بندمٍ شديدٍ ووقَعوا في الحسرة، وكأنَّ أيديَهم قد امتلأتْ بما لا يُطيقونه، فندِموا على ما فعلوه، وهذا هو معنى الكِناية.

المبحث الثالث: الحِجَاجُ المنطقي

يُعتبَر الحِجَاجُ المنطقي من الأساليب التي تستند إلى الحُجَّةِ القاطعةِ والبُرهانِ الواضح، التي تميَّز بها القرآن الكريم، فالقرآن هو معجزةُ الإسلام الخالدة؛ حيث لم يكتفِ بعرض الحقائق الدينية والأخلاقية، بل تطرّق في الكثير من مواضعه إلى أسلوب الإقناع العقلي لإثبات قضاياه الكبرى، مثل: التوحيد، والرسالة، والبعث، داعيًا الناس إلى التفكّر والتأمّل.

ومن هذا الجانب، تعدَّدت صورُ الحِجَاج المنطقي بين الحوار، والقياس، والاستدلال، والسؤال الاستنكاري.

[1]- لأبي جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المجلد السادس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3، سنة 1999، ص:63.

1- الحوار:

أ- حوار الله مع إبليس:

قوله تعالى ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (76)﴾[سورة ص، الآيتان: 75، 76]

أي: ما الذي صَرَفَكَ وصَدَّكَ عن السجود؟

(لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ): أضاف الله خلق آدم إلى نفسه تكريمًا له، وإن كان الله خالق كل شيء، كما أضاف إلى نفسه الروح، والبيت، والناقة، والمساجد."[1]

في هذه الآية، يسأل اللهُ إبليس: ما الذي منَعك من السجود لآدم الذي خلقتُه بيديّ؟ (وهذا تعظيمٌ لخلق آدم).

والسؤال هنا ليس طلبًا للعلم، فالله عليمٌ بكل شيء، وإنما هو سؤالٌ توبيخيّ يُقَرِّر به تمرد إبليس واستكباره ورفضه لأمر الله.

وقوله تعالى ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [سورة ص، الآية 76]

قال الفَرّاءُ: من العربِ من يقول: "أَنا أَخْيَرُ منه" و**"أَشَرُّ منه"**، وهذا هو الأصل، إلّا أنَّه حُذِفَ (أي خُفِّف) لكثرةِ الاستعمال.

"**خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ**، وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ":فَضَّلَ إبليسُ النارَ على الطينِ، وهذا جَهْلٌ منه، لأنَّ الجواهرَ المتجانِسةَ لا تُفَضَّلُ إلّا بِدَليلٍ، وقد قَاسَ فَأَخْطَأَ القِيَاسَ."[2]

---

[1]- تفسير القرطبي، المجلد الثامن، ص: 148.

[2]- المرجع نفسه، ص: 149.

"**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ**": هذا ردُّ إبليسَ عندما أَمَرَهُ اللهُ بالسُّجودِ لآدَمَ عليه السَّلام، فَاسْتَكْبَرَ، وقال إنَّه أَفْضَلُ مِن آدَمَ.

"**خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ**": يُبَرِّرُ إبليسُ رَفْضَهُ السُّجودَ بأنَّه مخلوقٌ مِن نارٍ، أي إنَّه يَرَى نَفْسَه أَعْظَمَ مِن أن يَسْجُدَ لآدَمَ.

"**وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**": أي إنَّ آدَمَ مخلوقٌ مِن طِينٍ، ويَرَى إبليسُ أنَّ النَّارَ أَشْرَفُ مِنَ الطِّينِ.

ب- حوار بين الأنبياءِ وأقوامِهِم

1- حوار نوحٍ عليه السَّلام مع قومه:

قوله تعالى ﴿**قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾**[سورة هود، الآية 32]**

قال أبو جعفر الطبري: يقول تعالى ذِكرُه: قال قوم نوحٍ لنوحٍ عليه السَّلام: قد خاصَمْتَنا فأكثرتَ خِصامَنا، فَأْتِنا بما تَعِدُنا به من العذاب، إن كنتَ من الصادقين في وُعُودك ودَعواك أنك رسولٌ من الله، ويُراد بهذا أنَّهم يُنكرون عليه قدرتَه على شيء من ذلك."[1]

تأتي هذه الآيةُ في سياقِ قصةِ نبي الله نوحٍ عليه السَّلام مع قومه؛ حيثُ دعاهم إلى عبادة الله وحده وتركِ الشِّرك، وذلك على مدى زمنيٍّ طويل، مستخدمًا الحكمةَ والموعظةَ والجدالَ بالتي هي أحسن، لكنهم لم يستجيبوا له.

[1]- تفسير الطبري، المجلد السابع، ص: 32.

في هذه الآية، يظهر ردُّ فعلِ قومِ نوحٍ بعد طول دعوته:

"قالوا يا نوح": نادَوه باسمه مُجرَّدًا، دون أي احترامٍ أو توقير، مما يدل على استهزائهم.

"قد جادلتنا فأكثرت جدالنا": أي أنك ناقشتنا كثيرًا، وأكثرت الجدالَ والإلحاحَ علينا بالدعوة.

"فأتِنا بما تَعِدُنا إن كنتَ من الصادقين": أي إن كنتَ صادقًا فيما تقول، من أن عذابًا سيصيبُنا إن لم نؤمن، فأتِ به الآن!

والآية تُظهِر تحدِّيهم لنبيِّهم نوح عليه السلام، وكأنهم لا يُصدقونه، ويطلبون وقوع العذاب كبرهان على صدقه.

2- حوار سيدنا يوسف عليه السلام مع أبيه:

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[سورة يوسف، الآية 5]

قال أبو جعفر الطبري: يقول تعالى ذكره: قال يعقوب لابنه يوسف: "يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ"، لئلا يحسدوك، "فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا"، أي: فيبغون لك الغوائل، ويُظْهِرون لك العداوة، ويُطيعون فيك الشيطان.

"إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ": أي إنَّ الشيطان لآدم وبنيه عدوٌّ واضحُ العَداوة، قد أظهر عداوته من قديم،ويقول: فاحذر الشيطانَ أن يُغري إخوتكَ بك، بسبب الحسد منهم لك، إن أنت قصصتَ عليهم رؤياك."[1]

[1]- تفسير الطبري، الجزء الخامس عشر، ص: 149-150.

في هذه الآية، يظهر حوارٌ بين يعقوبَ عليه السلام وابنه يوسف عليه السلام، حيث يحذِّره من أن يُخبر إخوته بهذه الرؤيا، لأنه يعلم أن إخوته يغارون منه، وربما إن سمعوا بهذه الرؤيا، التي تُوحِي بمكانة عظيمة ليوسف، فإنهم يكيدون له كيدًا، أي يحتالون عليه، ويدبِّرون له أمرًا سيئًا بدافع الحسد والغيرة.

2- القياس:

أ- قياس تحريم الخمر:

قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[سورة البقرة، الآية 219]

قال الطبري: (الخمر): كلُّ شرابٍ يُخمِّر العقل، أي يُغَطِّيه ويَستُرُه، وهو من قول القائل: "خمَّرتُ الإناءَ"، إذا غطَّيتَه، و"خَمَرَ الرجلُ": أي دخل في الخمر (السُّكر).

ويُقال: "هو في خِمار الناس وغِمارِهم"، أي: دخل في عَرضِهم واختلطَ بهم.

وأما (الميسر): فالمقصود به القِمار، وسُمِّي "الميسِر" بهذا الاسم من قولهم:"**أَيْسِروا وأَجْزِروا**"، أي: اقترعوا، كأنك تقول: "ضَع كذا وكذا"[1] وقاموا بتقسيمه بالمقامرة.

في هذه الآية، سأل الناسُ النبيَّ محمدًا ﷺ عن حُكم الخمر والميسر (أي المسكِرات والقِمار).

فجاء الجواب الإلهي بأن:"فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ، وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا".

أي أن في الخمر والميسر بعض المنافع الدنيوية (مثل اللذة، أو كسب المال)، ولكن الإثم والضرر فيهما أكبر وأشد.

[1]-تفسير الطبري، المجلد الثاني، ص: 319-320.

وهذا النوع من الحِجاج يُعَدُّ قياسًا عقليًّا بليغًا:حيث يُوازن النص بين المنفعة والضرر، ليُرَجِّح جانب التحريم، مع أن هذه الآية لم تُحرِّم الخمر والميسر تحريمًا مباشرًا، إلا أنها كانت مرحلة تمهيدية لذلك،

إذ تُوضِّح خطورتَهما وتُهيِّئ المجتمع لقبول تحريمهما التام لاحقًا، وهذا من أسلوب القرآن في التدرج في التشريع، لِيَجعل الناس يتفكّرون ويتأمّلون ويتعلَّمون.

ب- قياس الربا على الظلم:

القرآن نهى عن الربا في قوله تعالى: سورة البقرة، الآية 275.

قوله تعالى ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا**﴾[1]: يأكلون، يأخذون، فعبّر عن الأخذ بالأكل، لأن الأخذ إنما يُراد الأكل، والربا في اللغة: الزيادة مطلقًا، يُقال: ربا الشيءُ يربو إذا زاد، ومنه الحديث: "فواللهِ ما أخذْنا من لُقمةٍ إلا رَبا من تحتها"، يعني الطعام الذي دعا فيه النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة."[2]

الآية تشرح لنا أن البيع فيه تبادل منفعة حقيقية بين الطرفين غالبًا بتراضٍ، بينما الربا فيه استغلال وظلم، حيث يُفرَض على المحتاج زيادة مقابل الزمن فقط.

فالبيع مشروع لأنه يحقق مصلحة عادلة، بينما الربا محرّم لأنه يؤدي إلى الظلم والاستغلال، والله يوضح: ليس كل ما فيه زيادة حلال، فهناك فرق بين الربح الحلال في البيع، والربا المحرَّم الذي فيه ظلم، ولا يصح مساواتها.

---

[1]- سورة البقرة، الآية 275.

[2]- تفسير الطبري، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 255.

3- الاستدلال:

أ) الاستدلال العقلي:

قوله تعالى: سورة محمد، الآية 24 ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1]

يقول تعالى ذكره: أفلا يتدبَّر هؤلاء المنافقون مواعظَ اللهِ التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام، ويتفكَّرون في حُجَجِه التي بيَّنها لهم في تنزيله، فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون؟ (أم على قلوب أقفالها): يقول: بل أقفلَ اللهُ على قلوبهم، فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعِبَر"[2].

والاستدلال هنا يُبيِّن أن المشكلة ليست في القرآن، بل في الإنسان وتقصيره، والقساوة التي يحملها في قلبه، أي: هنا لا نخاطب العقل فقط، بل نخاطب القلب والعقل معًا.

ب) الاستدلال بالخلق والطبيعة:

قوله تعالى: سورة الروم، الآية 22 ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[3]

يقول تعالى ذكره: ومن حججه وأدلته أيضًا على أنه لا يُعجِزه شيء، وأنه إذا شاء أماتَ من كان حيًّا من خلقه، ثم إذا شاء أنشره وأعاده كما كان قبل إماتته، خلقُه السماواتِ والأرضَ من غير شيء أحدثَ ذلك منه، بل بقدرته التي لا يمتنع معها عليه شيء أراده.

---

[1]- سورة محمد، الآية :24.

[2]- تفسير الطبري، المجلد الحادي عشر، ص: 321.

[3]- سورة الروم، الآية: 22.

(واختلاف ألسنتكم): يقول: واختلاف مَنطِق ألسنتكم ولُغاتها.

(وألوانكم): يقول: واختلاف ألوان أجسامكم.

(إن في ذلك لآيات للعالمين): يقول: إن في فعله ذلك كذلك لِعِبَرٍ وأدلّةٍ لِخَلقِه الذين يعقلون، أنه لا يعييه إعادتهم لهيئتهم التي كانوا عليها قبل مماتهم، من بعد فنائهم."[1]

الآية تدرس دلائل التوحيد والقدرة الإلهية، ويُستدل بها على عظمة الله ووجوده من خلال التأمل في الطبيعة والخلق، وهو من الاستدلال المنهجي بالآيات الكونية، الذي يدرس عظمة الخلق (السماوات والأرض)، وتنوع الكائنات البشرية (الألسنة والألوان).

4- السؤال الاستنكاري:

أ/ قوله تعالى (سورة الأنبياء، الآية 30):

يقول تعالى ذكره: ﴿**أَوَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ بِأَبْصَارِ قُلُوبِهِمْ، غَيْرَةٌ بِهَا وَيَعْلَمُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا.**﴾[2]

يقول: ليس فيهما ثقب، بل كانت ملتصقتين، ويُقال من "رتق فلان الفتق": إذا شَده، فهو يرتقه، ورِتقًا، ومن ذلك قيل للمرأة التي فرجها ملتحم: تقاء، ووحدة الرتق، وهو من صفة السماء والأرض، وقد جاء بعد قوله (ففتقناهما) قوله: (فصدعناهما وفرجناهما)."[3]

---

[1]- تفسير الطبري، المجلد العاشر، ص: 176.

[2]- سورة الأنبياء، الآية 30.

[3]- تفسير الطبري، المجلد التاسع، ص: 321.

السؤال هنا يُطرح على الكافرين، والمعنى: ألم يعلم هؤلاء الكفار، أو لم يتفكروا وينظروا، أن السماوات والأرض كانت ("**رتقًا**") أي كتلة واحدة متصلة لا انفصال فيها، ففصلهما الله في قوله: "**فتقناهما**" (أي فرقنا وفصلنا بينهما وأصبح الكون كما هو الآن).

والغرض من الاستفهام الاستنكاري هو: التعجب من إنكارهم أو تجاهلهم الآيات الكونية الواضحة التي تدل على قدرة الله وعظمته.

خاتمة

خاتمة:

بعد رحلة بحثية امتدت عبر صفحات هذا العمل، حاولنا من خلالها التوقف عند ظاهرة الحِجَاج كما تجلّت في الخطاب القرآني، في توازن بين البُعد النظري والتطبيقي، يمكننا القول إن القرآن الكريم لم يكن نصًا تعبديًا فحسب، بل كان أيضًا خطابًا عقلانيًا محكم البناء، يوظّف آليات الحِجَاج وأساليبه بتنوع لغوي وبلاغي ومنطقي دقيق، بغرض الإقناع والتأثير والهداية.

وقد تبيّن لنا من خلال الفصل الأول أن مفهوم الحِجَاج في السياق القرآني يتجاوز معاني الجدل والمخاصمة، ليُصبح وسيلة خطابية راقية تستهدف العقل الإنساني. وقد ميّزنا بين خصائص الكلمة الحِجَاجية في القرآن الكريم، وبين أنواع الحِجَاج التي تراوحت بين الحِجَاج العقلي والمنطقي والعاطفي.

أما في الفصل التطبيقي، فقد رصدنا نماذج متنوعة من الحِجَاج القرآني، تَمثّلت في صور لغوية وبلاغية ومنطقية، جسّدت عمق البنية الحِجَاجية للخطاب الإلهي، وتنوّع أدواته بحسب المقام والسياق، بدءًا من الاستفهام والنداء، إلى التكرار والتقابل، ثم الانتقال إلى الحجج العقلية والقياسات المنطقية، مما يكشف عن اتساق دقيق بين المقصد الإقناعي والوسائل الخطابية المستعملة.

وإنّ هذا البحث، على تواضعه، يسهم في إظهار إعجاز القرآن الكريم من زاوية حِجَاجية تداولية، كما يُفتح آفاقًا للربط بين الدراسات اللسانية الحديثة والخطاب الديني، بما يعزّز مقاربة النصوص الدينية بروح علمية معاصرة.

ورغم ما بذلناه من جهد، فإننا لا نزعم الإحاطة بكل جوانب الموضوع، إذ اعترضتنا جملة من التحديات، كقلة المراجع التي تجمع بين التحليل الحِجَاجي والمنهج التداولي في النص القرآني، فضلًا عن صعوبة التوفيق بين الأبعاد النظرية والتطبيقية في ظل محدودية الوقت.

وفي الختام، نسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، كما نجدّد شكرنا الجزيل لكل من قدّم لنا يد العون، خاصة الأستاذة المشرفة الدكتورة بن سكران حفيظة، لما بذلته من جهد وتوجيه سديد، كان له الأثر الكبير في إخراج هذا العمل إلى النور.

والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

القرآن الكريم

- إسماعيل بن حماد الجوهري: معجم الصحاح، دار المعرفة، لبنان، ط3، 2008.
- ابن عثيمين: تفسير سورة الكافرون وبيان معنى التكرار فيها، 1421 هـ.
- ابن منظور: لسان العرب، ط2، دار صادر، بيروت (لبنان)، مادة (ح ج ج).
- الجرجاني، علي محمد سيد: معجم التعريفات، ترجمة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ت.
- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.
- الإمامين الجليلين: تفسير الجلالين، دار الكتاب الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2002.
- المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1992.
- تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
- تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2019.
- تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، 1974.

- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني.
- نور الدين: معجم الوسيط، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2005.
- وليد منير: النص القرآني من الجملة إلى العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1997.

ثانيا: المراجع:

- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، ط1، 2010.
- حمادي صمود: من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1999.
- زكرياء السرتي: الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014.
- رحمة توفيق: الحجاج اللغوي في الخطاب الإعلامي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2020.
- عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية: دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014.
- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2001، ط2، 2007.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2004.
- محمد الدالي: الوحدة الفنية في القصة القرآنية، دار مون، القاهرة، ط1، 1993.

- محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2008.
- مسعود طارق: الحجاج في الخطاب الإعلامي السمعي – الخطاب السياسي أنموذجًا، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2022.
- حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج: مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، ج1، ط1، 2010.
- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1998.

ثالثا: المجلات:

- رشيد الراضي: "الحجاجيات اللسانية عند أنسكو ومبرو ديكرو"، مجلة علم الفكر، الكويت، مجلد 34، العدد 1، 2005.

رابعًا: الأطروحات والمذكرات الجامعية

- الضاوية مخلوفي: آليات الحجاج في كتاب وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي – الجزء الأول أنموذجًا، مذكرة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص لسانيات النص، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة، 2017

خامسًا: الكتب المترجمة

- *Oliver Reboul, Introduction à la rhétorique, 2ème édition, Presses Universitaires de France, 1994, p.04.*

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة 1

الفصل الأول: دلالة الحجاج في القرآن الكريم

أولا– تعريف الحجاج: 6

ثانيا: خصائص الكلمة الحجاجية في القرآن الكريم: 10

ثالثا: أنواع الحجاج: 14

رابعا: آليات الحجاج في القرآن الكريم: 16

الفصل الثاني: الصور في القرآن الكريم و أبعادها الحجاجية

المبحث الأول: صور من الحجاج اللغوي في القرآن الكريم. 23

المبحث الثاني: صُوَرٌ من الحِجَاجِ البَلَاغِيِّ في القُرآنِ الكَرِيمِ. 44

أَرْكَانُ التَّشْبِيهِ: 46

المبحث الثالث: الحِجَاجُ المنطقي 52

خاتمة: 62

قائمة المصادر والمراجع: 65

ملخص البحث 71

ملخص

ملخص البحث

1.بالعربي:

تناولت هذه الدراسة موضوع الحِجَاج في القرآن الكريم من منظور نظري وتطبيقي، حيث هدفت إلى فهم كيفية تجلّي الحِجَاج في النص القرآني من خلال تحليل آلياته اللغوية والبلاغية والمنطقية. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، وانقسم إلى فصلين: الأول تناول دلالة الحِجَاج في القرآن الكريم من حيث المفهوم والخصائص وأنماطه، والثاني تناول الجانب التطبيقي عبر عرض صور الحِجَاج اللغوي والبلاغي والمنطقي في القرآن الكريم. وأظهرت النتائج أن القرآن الكريم يستخدم الحِجَاج بأساليب متنوعة ومتقنة تحقق هدف الإقناع والتوجيه، مما يؤكد بُعده التداولي والإعجازي في الوقت نفسه. كما أوضحت الدراسة أهمية الربط بين النظرية اللسانية الحديثة وتطبيقاتها على الخطاب الديني، مع الإشارة إلى بعض التحديات التي واجهت الباحثة بسبب ندرة الدراسات المتخصصة في هذا المجال. وفي الختام، توصي الدراسة بمزيد من البحث المتعمق في الحِجَاج القرآني لاستكشاف المزيد من أبعاده وخصائصه.

الكلمات المفتاحية:

الحجاج – القرآن الكريم – حجاجية القرآن الكريم – الحجاج المنطقي – الحجاج البلاغي

2. بالانجليزية:

This study addressed the topic of argumentation (hijaj) in the Qur'an from both theoretical and applied perspectives, aiming to understand how argumentation manifests in the Qur'anic text through the analysis of its linguistic, rhetorical, and logical mechanisms. The research relied on a descriptive-analytical approach and was divided into two chapters: the first dealt with the meaning of argumentation in the Qur'an in terms of its concept, characteristics, and types; the second focused on the applied aspect by presenting examples of linguistic, rhetorical, and logical argumentation in the Qur'an. The results showed that the Qur'an employs argumentation in diverse and sophisticated ways to achieve persuasion and guidance, thereby confirming its pragmatic and miraculous dimensions simultaneously. The study also highlighted the importance of linking modern linguistic theory with its applications to religious discourse, noting some challenges faced due to the scarcity of specialized studies in this field. In conclusion, the study recommends further in-depth research into Qur'anic argumentation to explore more of its dimensions and features.

نموذج التصريح الشرفي
الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(ملحق القرار رقم 1082 المؤرخ في 27 ديسمبر 2020 الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها)

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة) ..دنيا روميسة..... ، الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم 120154760 الصادرة عن

مستغانم بتاريخ 2021-03-27

المسجل(ة) بكلية الأدب العربي و الفنون قسم الدراسات الأدبية واللغوية

والمكلف بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج (ماستر))

عنوانها: الحجاج بين الشعر والسحابي نماذج من الشعر الجزائري

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2025-06-10

توقيع المعني(ة)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Abdelhamid Ibn Badis
Mostaganem
Faculty of Arabic Literature And Arts

وزارة التعليم العالي
و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس
مستغانم
كلية الأدب العربي و الفنون

استمارة إيداع مذكرة الماستر

تخصص: لسانيات تطبيقية

السنة الجامعية 2024***2025

إطار خاص بالطالب(ة)

الاسم : رميساء
اللقب : قشار
تاريخ و مكان الميلاد : 23 نوفمبر 2002
ب مستغانم
رقم الهاتف : 0798974607
البريد الإلكتروني: RomissaKacher@gmail.com

عنوان المذكرة: الحجاج بين النظرية والتطبيق نماذج من الحجاج القرآني

إطار خاص بالأستاذ(ة) المشرف(ة) على المذكرة

اسم و لقب الأستاذ (ة)المشرف(ة) على المذكرة : دلمكراه حنيطلة

رتبة الأستاذ(ة) المشرف(ة) : أستاذة محاضرة أ

إمضاء الأستاذ(ة) المشرف(ة)

إمضاء رئيس قسم الدراسات اللغوية و الأدبية

Faculty of Arabic Literature And Arts - Mostaganem -
PO.Box 188 Mostaganem 27000 Algérie Tél : + 213 (0) 45 42 11 01. Fax : + 213 (0) 45 42 11 01
WebSite : www.univ-mosta.dz/flaa Email : web.flaa@univ-mosta.dz